obeikandl.com

أسوار بيننا

الكتاب : أسوار بيننا
المؤلف : شريف شوقي
تصميم الغلاف : محمد عبد القوي مصيلحي
تدقيق لغوي : سارة صلاح
رقم الإيداع : 2014/25188
الترقيم الدولي : 978-977-6436-63-3
الطبعة الأولى :2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

أسوار بيننا

لـ رواية

شريف شوقي

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

- إلى أمي الحبيبة رحمها الله والتي غمرتني بكل مشاعر الحب والدفء والحنان.
- إلى كل الأصدقاء الأوفياء والقراء الأعزاء.
- إلى كل المتشوقين للأحاسيس الرومانسية الجميلة والتي تذكّرنا بإنسانيتنا التي افتقدناها في خضم ماديات الحياة ومتاعبها وحاجتنا إلى لمسة حانية تتفتح بها مشاعرنا من جديد .

أهدي روايتي

شريف شوقي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

استيقظَتْ سمر في ساعة مبكرة من الصباح رغم قلقها طوال الليل وحرمانها من نومٍ مريح.

أسندت رأسها مزدحمة بالعديد من الأفكار إلى ظهر سريرها وهي تبدو مرهقة ومتوترة.

ثم ما لبثت أن غادرت فراشها لتطلع على الحديقة المحيطة بالشاليه الذي جاءت لتقضي فيه الإجازة الصيفية مع أسرتها.

أرادت أن تعود إلى فراشها مرة أخرى في محاولة لتعويض ساعات النوم التي حرمت منها.

لكنها سرعان ما تبيَّنت أن محاولتها ستفشل حتمًا وتزيدها توترًا .. فأصرت أن ترتدي ثيابها وتنزل إلى الحديقة .وما لبثت أن هبطت درجات الدرج القليلة المؤدية إلى الحديقة لتلقي بجسدها المنهك فوق الأريكة الموجودة في احد أركانها، وهي تتطلع إلى مياه البحر الممتدة أمامها.

حيث أخذت عيناها تتابعان حركة الأمواج المتلاطمة في انسيابية ورتابة.

كان المشهد أمامها باعثًا على الهدوء والسكينة.

لكنه لم يستطع أن ينزع عنها أفكارها المضطربة حول الرجل الذي أصبحت صورته تطاردها في صحوها ونومها ..رغم كل ما بذلته من محاولات لإبعاده عن فِكرها والتخلص من مشاعرها المتضاربة تجاهه.

وبينما هي مستغرقة في أفكارها إذ بيدٍ تربت على كتفها وصوت يحدثها قائلًا:

- صباح الخير ..ما الذي أيقظكِ مبكرًا هكذا؟

انتفضت قائلة:

- ألن تتوقف عن طريقتك السخيفة هذه في مفاجأة الآخرين؟

كان القادم هو صلاح، شقيقها الأصغر.

وقد جلس أمامها وفي يده كوب الشاي قائلًا:

- ما الذي فعلته لأستحق هذا؟
- قلت لك من قبل ألا تسير على أطراف قدميك وتفاجئني كاللصوص بتلك الطريقة؟

ابتسم قائلًا:

- كنت أسير بطريقة عادية للغاية ..أنتِ التي كنت شاردة بأفكارك بعيدًا.

obeikandl.com

لكن لم تقولي لي بعد، ما سبب استيقاظك مبكرًا؟

- هل نسيت أن هناك من سيأتي لزيارتنا اليوم؟
- من؟
- لقد نسيت كالعادة ..خالد ..خطيب أختك.
- آه، نسيت بالفعل.
- بالطبع ..وكيف ستتذكر وعقلك مشغول طوال الوقت بالرسم والموسيقى وغيرها من التفاهات.
- من قال إن الرسم والموسيقى تفاهات؟ ألم تسمعي يومًا بمقولة أن الفن هو غذاء الروح.
- دعك من هذا الكلام الفارغ ..واذهب لترتدي شيئًا مناسبًا تستقبل به خطيب أختك.

أخذ رشفة من الشاي قائلًا:

- وما العيب فيما أرتديه؟ إننا في مصيف ..والمصيف يعني أن نكون منطلقين ومتحررين تمامًا من الملابس الرسمية.

قالت له متبرمة:

- أعرف أن الكلام معك لا يجدي ..على الأقل افعل شيئًا مفيدًا واذهب لتوقظ أختك لكي تكون مستعدة.

ضحك قائلًا:

- مستعدة لماذا؟ إنك تصورين الأمر وكأننا نستعد لحفل رسمي لِم لا تتعاملين مع الأمر ببساطة أكثر من ذلك؟

قالت له غاضبة:

- تقصد بطريقة أكثر استخفافًا ..ومتى كنت تتعامل مع الأمور الهامة بجدية؟

هل تريد أن أوضّح لك مرة أخرى أهمية زواج خالد من شقيقتك؟

وأن أحوالنا المادية قد تدهورت إلى الحد الذي يهددنا جميعًا بالإفلاس.

وأن الشركة التي أفنى والدنا- رحمه -الله حياته وصحته من أجلها في طريقها للضياع.

قال لها باستخفاف:

- وخالد رضوان الذي سيحضر لنا معه مصباح علاء الدين؟

obeikandl.com

- خالد هو الوحيد الذي يمكنه أن يقدم لنا يد المساعدة وينقذ الشركة التي ننعم كلنا بخيرها من الإفلاس والضياع.

مطَّ شفتيه قائلًا:

- أيًا كان الأمر فأنا لا أؤمن بزواج المصلحة.

- وما الذي تؤمن به؟ الجلوس أمام لوحات الرسم والعزف على الجيتار.

- أنت تعرفين جيدًا أن الرسم والموسيقى هما هوايتاي المفضلتان ..وأنا لا أحب أن يستخف أحد بشيء أحبه.

ثم لا تنسي أنني مهندس ديكور ..أي أن الفن جزء من عملي والحمد لله أنا ناجح في عملي ومستمتع بهواياتي.

- أي نجاح هذا الذي تتحدث عنه؟ هل تسمي الأربعة آلاف أو الخمسة آلاف التي تحصل عليها من وراء عملية تقوم بها كل شهرين أو ثلاثة نجاح نجاح؟

أنا أدفع لك كل شهر ضعف ما تأخذه من عملك في الديكور.

قال لها غاضبًا:

- أنتِ لا تدفعينه لي من جيبك ..بل هو حق في الشركة التي ورثناها عن أبينا ..وجزء من نصيبي الذي لم أحاول أنا أسألك عنه أو أحاسبك عليه ولو مرة واحدة.

قالت لها متهكمة:

- هذا نصيبك ..وكل تلك النقود التي أدفعها لك شهريًا أليست من هذا النصيب الذي تتحدث عنه.

إذا أردت أن نتحاسب حقًا ..تعالَ لترى بنفسك خسائر الشركة التي أديرها ..وكيف أن المسؤولية تقتضي ضغط العديد من بنود الإنفاق في ظِل وجود تلك الخسائر.

ومع ذلك فقد حافظت على اتفاقي معك واستمررت في دفع المبلغ الذي اعتدت أن أدفعه لك كل شهر دون أن تبذل أي جهد أو تتحمل أي مسؤولية تجاه شركتك وشركتنا جميعًا.

ولم أحملك أي نصيب فيما نعانيه من خسارة.

- ما دامت الشركة تخسر كما تقولين ..إذن فلما الإبقاء عليها؟

فلنبيعها ويحصل كل منا على ما تبقى له من نصيب فيها.

هبَّت سمر واقفة وهي تنظر له شذرًا قائلة بانفعال:

- إياك أن أسمعك تقول هذا ثانية.

obeikandl.com

- مادامت الشركة تخسر فما الداعي للإبقاء عليها؟

- لأن أباك أوصى قبل موته بالحفاظ عليها ..ولأنها كانت أهم شيء في حياته..

قال لها ساخرًا:

- الأمور الاقتصادية لا علاقة لها بالمشاعر العاطفية ..أليست هذه هي حكمتك المفضلة؟

والنشاط الذي لا يحقق ربحًا يتعين إلغاؤه.

- هذا بدلًا من أن تأتي لتساعدني للتغلب على تلك الخسائر وتحمل مسؤوليتك بجانبي باعتبارك رجل الأسرة.

- أنتِ تعرفين جيدًا أنه لا طاقة لي على الأعمال التجارية، وأنني لا أفقه شيئًا في أمور الإدارة.

قالت له بامتعاض:

- على أي حال لا الوقت ولا المجال يسمح لنا بالاستطراد في هذا الحديث الآن ..فلدينا ما هو أهم.

قال متهكمًا:

obeikandl.com

- آه ..ذلك الزواج الذي تدبرين له أملًا في إنقاذ شركتنا من الإفلاس.

- وما شأنك بذلك ما دامت أختك موافقة ومرحِّبة بهذا الزواج؟

- وافقت تحت ضغط إلحاحك عليها وبدعوى أن مصير الشركة والأسرة يتوقف على تلك الزيجة ..وبغض النظر عن مشاعرها تجاه الشخص الذي ستتزوجه.

- ومن قال إن نيفين ليست لديها مشاعر تجاه خالد؟

إنه شاب وسيم وثري ومن عائلة محترمة وتحلم به أي فتاة ..وهي مغرمة به بالفعل.

- بل قولي منساقة وراء الصورة التي رسمتِها لها عنه وإغراءات المكاسب العديدة التي يمكن أن تحصدها من وراء زواجها منه.

- دعك من هذه الفلسفة السخيفة واذهب لتوقظ أختك من نومها.

نهض قائلًا:

- تولي أنت هذه المهمة ..أنا ذاهب إلى الشاطئ.

زفرت قائلة:

obeikandl.com

- كان يجب أن أعرف أنه لا فائدة تُنتظَر منك مطلقًا.

وفي تلك اللحظة أقبل خالها وهو يعدو فاردًا ذراعيه إلى أعلى وجانبًا.. محاولًا إضفاء بعض النشاط الرياضي على جسده المترهّل.

حيث تطلع إليهما قائلًا:

- ماذا بكما؟ لِم تصيحان هكذا؟

ضحك شقيقها قائلًا:

- لا شيء ..فقط تريد سمر أن أحضر فرقة موسيقية لتكون في شرف استقبال السيد خالد رضوان حينما يأتي لزيارتنا اليوم.

ضحك خاله قائلًا:

- وما المانع؟ أنا مستعد لأن أقود تلك الفرقة بنفسي.

لكنه ما لبث أن ابتلع كلماته وضحكته حينما واجهته سمر بنظرة غاضبة محاوِلًا التظاهر بجدية لا تناسبه.

بينما تحولت إلى شقيقها قائلة بعصبية:

- هل تعرف أنك لا تحتمل بتعليقاتك السمجة هذه؟

وسارعت بمغادرة الحديقة بخطوات غاضبة.

obeikandl.com

حيث راقبها خالها وهي تتجه إلى الداخل ليقترب من صلاح قائلًا:

- لِم هي جادة أكثر من اللازم دائمًا هكذا؟

ابتسم صلاح قائلًا:

- أنت تعرف سمر ..لابد أن يتم كل شيء وِفقا لما تريده وإلا اختل ميزان الكون.

اجتازت سمر الردهة لتصعد إلى الدور العلوي.

حيث صادفت أمها في طريقها وهي تستعد لدخول المطبخ .وقد حيَّتها أمها قائلة:

- صباح الخير يا سمر.
- صباح الخير يا ماما ..أما زالت نيفين نائمة؟
- حاولت أن أوقظها أكثر من مرة دون جدوى.

دخلت إلى الغرفة لتجد أختها مستغرقة في النوم فاقتربت لتهزها من كتفها قائلًا:

- هيَّا استيقظي ..كفاكِ نومًا.

قاومت إلحاح أختها قائلة بكسل:

- ما زال الوقت مبكرًا ..دعيني أنام.

لكنها أزاحت عنها الغطاء لتجذبها من فراشها قائلة:

- الساعة تجاوزت التاسعة ..كفاك كسلًا.

عادت لتلقي بجسدها على الفراش قائلة:

- بل ستغادرين فراشك الآن وتستعدين لاستقبال خطيبك ..فمن المنتظر أن يأتي لزيارتنا في أي وقت.

قالت لها وهي مغمضة العين:

- قولي له أن يأتي في أي يوم آخر.

قالت لها بغضبٍ:

- أقول له أن يأتي في يوم آخر ..إنه خطيبك وليس بائع اللبن.

فتحت عينيها بصعوبة وهي تغالب النعاس قائلة:

- لكن الوقت مازال مبكرًا.

- التاسعة ليست وقتًا مبكرًا، وقد وعدنا خالد بأنه سيقضي اليوم معنا منذ بدايته وسنذهب جميعًا إلى البحر.

قالت لها بضيق:

obeikandl.com

- أي إزعاج هذا؟ لقد نمت في ساعة متأخرة ..ومازلت بحاجة إلى المزيد من النوم.

فتحت سمر نوافذ الغرفة قائلة:

- بالطبع ما دمت تصاحبين تلك الشلة الفاسدة التي تسهرين معها في النوادي كل ليلة.

تمطت نيفين بكسل قائلة:

- أختي الحبيبة ..نحن في إجازة صيفية ..ومن حقنا أن نتمتع بكل لحظة فيها.

أتريدينني أن أفعل مثلك وأقضي يومي جالسة على الشاطئ أو في حديقة الشالية أقرأ كتابًا أو أراجع بعض الملفات التي أحضرتها معي كما لو كنت عجوزًا في الستين من عمرها.

جذبتها من ذراعيها قائلة:

- المصيف يعني الراحة والاستجمام وليس ذلك العبث والصخب الذي تسمينه انطلاقًا.

ابتسمت نيفين قائلة:

- هل تعرفين؟ أحيانًا أشعر وكأنك أكبر سنًا من والدتنا رغم أنك لم تتعدي الثلاثين ..فهي أقل جدية وتزمُّتًا منك.

obeikandl.com

ومدت يدها لتحل خصلات شعر شقيقتها وهي تتأملها قائلة:

- مع إنك لو اعتنيتِ بنفسك العناية اللائقة ستبدين أصغر منّي سِنًّا.

أعادت سمر عقص شعرها قائلة بجدية:

- من الأفضل أن توجّهي هذا الاهتمام لنفسك لتجعلي خطيبك يراك في أبهى وأجمل صورة.

مطَّت نيفين شفتيها قائلة ببرودٍ:

- خطيبي ..لكنه لم يصبح خطيبي بعد.

- أنتما في حُكم المخطوبين وخلال أيام قليلة ستتم خطبتك له رسميًا ..وبعد شهرين أو ثلاثة على الأكثر ستكونان زوجين، هل نسيتِ ذلك؟

عادت نيفين لتبتسم قائلة:

- وكأنه قدرٌ لا فرار منه.

- لقد علمت أنه سيقضي معنا حوالي أسبوع في مارينا ..أظن أنها فترة كافية لتوطيد العلاقة بينكما.

غادرت فراشها لتؤدي بعض التمرينات الرياضية وهي تقول:

obeikandl.com

- كوني مطمئنة ..أظن أنها وطيدة بالفعل.

راقبتها سمر وهي تذهب إلى الحمَّام قائلة:

- هذا ما أتمناه.

obeikandl.com

الفصل الثاني

قبل أن تتأهب لمغادرة الحجرة، اندفع ذلك الصغير إلى الداخل ليتعلق بعنقها قائلًا:

- صباح الخير يا ماما.

أحاطته سمر بذراعيها في حنان قائلة:

- صباح الخير يا حبيب ماما ونور عينيها.

وأخذت تسوي خصلات شعره المتهدلة فوق جبينه وهي تبتسم له قائلة:

- هل تناولت فطورك؟

- لا ..أنا أريد أن أذهب إلى البحر.

أجلسته بجوارها وهي تلف ذراعها حول كتفيه الصغيرتين قائلة بحنان:

- نتناول الإفطار أولًا ..ثم نذهب بعدها إلى البحر.

وما لبثت أن دخلت والدتها إلى الحجرة بدورها وهي تحمل صينية عليها بعض الشطائر وكوب لبن كبيرًا لترمق الصبي بنظرة غاضبة:

- أأنت هنا يا وائل وأنا أبحث عنك في كل مكان؟!

obeikandi.com

واستطردت قائلة لسمر:

- ماذا أفعل مع ابنك الشقي هذا؟ نصف ساعة وهو يحاورني من غرفة لأخرى ومن الشرفة إلى الردهة لكي يتناول فطوره.

نظرت سمر لابنها معاتبة وهي تقول:

- أهكذا تفعل بجدتك.

تناولت منها الصينية قائلة:

- اذهبي أنتِ لتستريحي ..أنا أعرف كيف أتعامل معه.

وأردفت قائلة:

- الأستاذ صلاح خرج ..أليس كذلك؟
- منذ ساعة.
- ألم يكن قادرًا على الانتظار لبعض الوقت لكي يقابل خطيب أخته ..ثم يذهب بعدها لموعده الغرامي اليومي هذا؟

ابتسمت الأم قائلة:

- أنتِ تعرفين أنه لا يستطيع التخلف عن لقائه اليومي المعتاد مع نهى.

obeikandl.com

قالت بشيءٍ من الانفعال:

- لم تكن السماء لتنطبق على الأرض لو انتظر وأجَّل موعده معها اليوم.

قالت الأم محاولة تهدئتها:

- على أي حال ..فقد أخبرني أنه لن يتأخر ..كما أن خالك موجود أيضًا لاستقباله.

أعطت سمر شطيرة لابنها ..ثم نهضت لتقترب من أمها قائلة:

- لا يا أمي ..خالد هذا ليس مجرد شخص عادي فهو وأبوه من كبار رجال الأعمال في مصر ..ولديه ثروة ضخمة جدًا.

ومن حظ ابنتك أنه أعجبها ..وسيكون من حُسن حظها لو زوجناها له قبل أن تستولى عليه فتاة أخرى.

فالعديد من العائلات الكبيرة تتمنى ويشرّفها أن تصاهر عائلة مثل عائلة خالد.

لذا يتعين علينا أن نغتم الفرصة ونبذل كل جهدنا لإنجاح هذا الارتباط وإلا نكون قد خسرنا خسارة كبيرة ليس بإمكاننا تعويضها.

- أعرف ذلك ..وأتمناه فهو نسب مشرّف للغاية.

- علينا إذن أن نتعامل مع الأمر بجدية وأن يجد هذا الشاب منا أفضل معاملة وأحسن استقبال.

هزت الأم رأسها موافقة وهي تقول:

- معكِ حق يا بنيتي.

بادر منصور عبد الحليم(الخال) باستقبال خالد رضوان بترحابٍ شديدٍ قائلًا:

- أهلًا ..أهلًا خالد بك ..شرفتنا.

صافحه خالد قائلًا:

- أهلًا بك يا عمي، أرجو ألا أكون قد جئت في وقتٍ غير مناسب.

دعاه الرجل إلى مصاحبته بالداخل قائلًا:

- لا تقل هذا ..مرحبًا بك في أي وقت ..أنت لم تعد غريبًا ..بل أصبحت واحدًا منا.

كان الشاب فارع القوام ..قمحي اللون ..وسيمًا بشكل لافت للنظر ويدل مظهره على رجولة واضحة.

وقد سارعت سمر بدورها لتحيته قائلة:

- مرحبًا بك يا أستاذ خالد.

obeikandl.com

صافحها بابتسامة على وجهة أضفت عليه مزيدًا من الجاذبية لفتت انتباهها ..وقد أحسَّت بصلابة أصابعه وهي تضغط على أناملها الرقيقة.

وبدت عيناه وكأنها تتفحصانها على نحو أربكها، رغم أنها لم تكن المرة الأولى التي يلتقيان فيها ..فقد تقابلا عدة مرات من قبل.

دعاه خالها للجلوس قائلًا:

- لابد أنك لم تأتِ للساحل الشمالي منذ فترة بعيدة وإلا كنا قد التقينا حتمًا.

فهذا مصيف العائلة المفضل ..وخير ما فعله المرحوم كامل زوج شقيقتي هو أنه اشترى لنا هذا الشاليه المطل على البحر مباشرة.

ألقى خالد نظرة متأنية على المكان حوله قائلًا:

- إن موقعه ممتاز بالفعل ..في الحقيقة لدينا فيلا كبيرة هنا تطل على البحر أيضًا ..لكني لم آت إلى الساحل الشمالي منذ عدة سنوات.

ابتسمت سمر قائلة:

- يبدو أنك لا تفضّل المكان هنا رغم روعته.

- لقد اعتدت أن أقضي عطلات قصيرة في أوروبا ..وهي ليست عطلات بالمعنى الحقيقي، لأنها غالبًا ما تكون مقترنة ببعض الأعمال والاتفاقيات الخاصة بالمؤسسة.

وفي تلك اللحظة، أقبلت نيفين وقد ارتدت" تيشيرتًا "قصيرًا أحمر وبنطالاً ضيقًا متعدد الألوان.

حيث بدا مظهرها فاتنًا وهي تبتسم لتدخل في الحديث مباشرة قائلة:

- ما هذا يا خالد؟ هل يعني ذلك أنك تعطي كل وقتك للعمل والاتفاقات حتى في الإجازات.

هزَّ كتفيه مبتسمًا وهو يقول:

- ليس لي حيلة في ذلك فالعمل لا يرحم.

قالت له بمرح:

- اسمع ..أنا أحب الرجل الذي يخلط العمل بمتع الحياة.

صافحها قائلًا:

- لا تقلقي لستُ جادًا إلى هذا الحد ..أستطيع أن أمنح نفسي بعض الوقت للاستمتاع بمباهج الحياة أيضًا..

جلست إلى جواره قائلة:

- أجل ..فالحياة تستحق أن نعيشها.

قالت سمر برصانة:

- المال هو الذي يسهل الاستمتاع بالحياة ..لذا يتعين علينا أن نعمل بجِد لكي نحصل عليه ..ونحافظ عليه ليساعدنا على العيش بالطريقة التي ترغبينها.

مطَّت نيفين شفتيها بتبرم قائلة:

- ماذا أقول؟ إنه منطق شقيقتي التي يصعب تحديه.

تحدث الخال قائلًا:

- بالمناسبةلِمَ لم يأتِ رضوان بك معك؟

مع الأسف حالته الصحية ليست على ما يرام ..وقد نصحه الأطباء بالراحة التامة ..خاصة بعد تعرُّضه لنوبات قلبية متعددة في الآونة الأخيرة.

وهذا ألقى عليَّ بالمزيد من الأعباء في إدارة العمل بالمؤسسة والتي أصبحت أديرها بمفردي تقريبًا.

- على أي حال، البركة فيك، فأنا واثق أنك تديرها بكفاءة.

لقد كان أبوك شفاه الله بعيد النظر حينما أشركك معه في مسؤولية إدارة المؤسسة التي يمتلكها بعد تخرُّجك من الجامعة مباشرة.

غيرت نيفين مجرى الحديث قائلة:

- لِمَ لَم تأتِ عندنا مباشرة؟
- فضَّلت أن أذهب إلى فيلتنا أولًا لأضع حقائبي وأصلح من هندامي قبل مجيئي إليكم.

سمر:

- لابد أنك لم تفطر بعد.

ابتسم قائلًا:

- بالفعل.

أقبلت الأم قائلة:

- وأنا أعددت لك فطارًا شهيًا بنفسي.

ولمح خالد الصبي وهو يختلس النظر إليه فهبَّ واقفًا ليفتح له ذراعيه قائلًا:

- أهلًا صديقي العزيز ..لِمَ تقف بعيدًا هكذا؟ ألا تأتي لترحب بصديقك؟

obeikandl.com

اندفع الصبي نحوه ليحتنضه بحرارة تنم عن مدى حبه له.

ثم ما لبث أن قال:

- كان بيننا رهان ..أليس كذلك؟

ابتسم خالد قائلًا:

- أي رهان؟
- قلت لك إنني سأهزمك في لعبة" البلاي ستيشن."

ضحك خالد قائلًا:

- آه حقيقي ..على أي حال فهو ثأرك، فإنني هزمتك في المرة السابقة ..أم أنك نسيت؟
- وأنا مصمم على أن أهزمك هذه المرة.
- سنرى.

أمسكت سمر بذراع ابنها قائلة:

- كفاك إزعاجًا واذهب لتغيير ثيابك.

تلفت خالد حوله قائلًا:

- ولكن أين صلاح؟

obeikandi.com

وسرعان ما سمع صوته يأتي مقبلًا من الحديقة ليقول:

- شبّيك لبيك صلاح بين إيديك.

ابتسم خالد وهو يصافحه بحرارة قائلة:

- كنت أقول لنفسي منذ قليل أن المكان ينقصه ركنٌ هامٌّ من أركانه.

- أليس كذلك؟

وغمز وهو يردف مشيرًا إلى سمر:

- قل هذا لشقيقتي الكبرى ..فهي تعتقد أنني شخصٌ لا أهمية له وزائد عن الحاجة في هذه العائلة.

تجاهلته سمر قائلة لخالد:

- تفضل يا أستاذ خالد الفطار جاهز.

وبينما هم ملتفين حول مائدة الإفطار، تحدَّث خالد إلى صلاح قائلًا:

- ما أخبار لوحاتك الفنية؟ هل انتهيت من لوحتك الأخيرة التي أطلعتني عليها من قبل؟ ..أظن أنك سمّيتها ينابيع الصفاء.. أليس كذلك؟

ابتسم صلاح قائلًا:

- ذاكرتك جيدة ..لقد قاربت على الانتهاء منها.
- أنت كسولٌ بعض الشيء ..ليتك تطلعني عليها بعد اكتمالها فهي تبدو جميلة للغاية.
- سيحدث ..لكن مع الأسف لم أحضرها معي.

تحدثت سمر قائلة:

- بالمناسبة ما هي الفترة التي ستقضيها معنا هنا؟
- حوالي أسبوع تقريبًا ..أتمنى أن يكتمل دون أن يطرأ ما يستدعي عودتي إلى القاهرة.

احتجَّت نيفين قائلة:

- أسبوع واحد فقط ..لكنها فترة قصيرة جدًا.
- ماذا أفعل؟ العمل لا يرحم.

قالت له متبرمة:

- العمل ..العمل ..أنت تشبه أختي سمر في طريقة تفكيرها وأسلوب حياتها الممل.

تحول بنظراته إلى سمر قبل أن يعاود الالتفات إليها قائلا:

- اطمئني ..لست من طراز رجال الأعمال الذين يستغرق عملهم كل حياتهم.

obeikandl.com

ظروف مرض والدي المفاجئة هي التي اضطرتني لبذل جهد مضاعف خلال العامين الماضيين ..لكنى قاربت على إعادة ترتيب المسؤوليات وتوزيعها في المؤسسة بشكلٍ سيؤدي إلى تخفيف الكثير من الأعباء التي أحملها الآن فوق كاهلي.

هتفَ صلاح فجأة قائلة:

- دعكم من هذا الحديث الجاف ..ماذا تنتظرون؟ ألن نذهب إلى الشاطئ؟

رمقته سمر بنظرة غاضبة:

- هل تعرف أنك قليل الذوق؟ ..ألا تنتظر حتى ننتهي من تناوُل الفطور أولًا؟

نهض قائلًا دون مبالاة:

- بالنسبة لي فقد اكتفيت ..وأظن أن الوقت قد حان للانصراف.

نظرت إليه نيفين بدهشة قائلة:

- ألن تذهب معنا إلى الشاطئ؟

- سأجري بعض الاتصالات الهامة أولًا ..ثم ألحق بكم.

ضحكت في خبث قائلة:

- اتصالات أم لقاءات؟

obeikandi.com

الفصل الثالث

راقبت سمر ذلك الود والانسجام الظاهر بين أختها وخالد وهما يسيران معًا على الشاطئ ..وقد أحسَّت بشيء من الارتياح فهي تأمل أن يتعمق بينهما ذلك الود والانسجام ليقودهما إلى الهدف الذي سعت إليه منذ البداية ..وأن يعجّل ذلك بزواجهما.

فهذه الزيجة ستؤدي لإنقاذ الشركة من الإفلاس ..ولن يضطرها إلى السعي من أجل الحصول على قروض جديدة أو بيع جزء من أصولها.

واسترخت في مقعدها وهي تحاول التغلب على حالة التوتر التي تملكتها خلال الأشهر الماضية بسبب الحالة التي وصلت إليها أوضاع شركتها في الآونة الأخيرة.

فمنذ أن أتت إلى هنا لم يفلح نسيم البحر وهدوء المكان في أن ينتزعها من أفكارها ويبدد مخاوفها .وظلت تراقب شقيقتها من تحت عدسات نظَّارتها الشمسية وهي تتأبط ذراع الرجل الذي صار في حُكم خطيبها وقد علت ضحكاتهما .وابتسامة رضا تلوح على وجهها.

لكن سرعان ما تبدلت هذه الابتسامة لتحل محلها مسحة من الأسى.

فبالرغم من رضاها وسعيها إلى ذلك التآلف العاطفي بين خالد وأختها إلا أنها أحست بافتقادها لتلك المشاعر التي لم تمر بحياتها يومًا.

مشاعر اكتفت بأن تعيشها في أحلامها وتتخيلها في أمانيها.

فالكل يظنها تلك المرأة الجادة ..الجافة ..ذات المشاعر الصلبة والتي لا تعرف إلا الحياة بأسلوب عملي دون أن يكون للعاطفة مكان في قلبها.

لكن أحدًا لم يطّلع على حقيقة ما تخفيه في أعماقها ..وكيف أنها مختلفة تمامًا عمَّا يبدو لهم في الظاهر.

لا أحد يعرف شيئًا عن حقيقة حاولت هي نفسها أن تتجاهلها وتهرب منها وراء هذا القناع الزائف الذي تواجه به الآخرين .وأنها طالما بحثت عن الحب فلم تجده ولم يقدَّر لها أن تعرفه في حياتها.

فالأشخاص الذين مروا بحياتها لم يكونوا صادقين في مشاعرهم نحوها.

فقد أراد بعضهم استغلالها ..والبعض الآخر لم يكن يعرف عن الحب شيئًا إلا قشوره ..وآخرون لم تجد فيهم شيئًا من فارس أحلامها.

حتى الرجل الذي تزوجته لم يكن بينهما حُبًّا حقيقيًا ..بل كان زواجًا عمليًا فرضته الظروف.

كان رجلًا طيبًا ..عاشت معه حياة طيبة لايمكنها أن تنكر ذلك ..لكنه لم يعرف كيف يحبها ..ولم تستطع هي أيضًا أن تحبه خلال الفترة القصيرة التي عاشاها معًا.

فبعد عامٍ ونصف فقط من زواجهما تركها أرملة ومعها طفلٌ.

وفي النهاية أيقنت أنها لم ولن تلتقِ بهذا الحب الذي عاشته في خيالها وخاصم واقعها فقررت أن تلفظه مطلقًا من حياتها.

بل سعت أيضًا إلى إبعاده عن خيالاتها ..وأن تنصاع للحياة التي اختارتها لنفسها.

حياة المرأة العملية التي تضطلع بمسؤولية الأسرة وتتولى شؤونها ورعاية أفرادها.

فبعد وفاة أبيها كان قدرها أن تحل محله في إدارة الشركة التي ورثتها أسرتها عنه؛ باعتبارها كانت رفيقته في إدارتها خلال حياتها، وباعتبار أنها الشقيقة الكبرى التي ائتمنها والدها على استمرارها من بعده.

وبات كل عملها يدور حول تلك الشركة التي تولَّت مسؤوليتها من بعد وفاة أبيها ورعاية شقيقها وأمها وابنها الوحيد.

هذا الطفل الذي عوَّضها به ربها عن مشاعر الحب العاطفي لتستبدله بمشاعر من نوعٍ آخر ..فكانت مشاعر الأمومة هي البديل الذي اكتفت به والذي منحها بعض الرضا.

فحبها لوائل خفف كثيرًا من جفاف حياتها المجدبة.

أغمضت عينيها قليلًا وهي مستغرقة في أفكارها.

ثم بدا وكأن شيئًا ما يحجب ضوء الشمس عنها ..ففتحت جفنيها سريعًا لترى خالد جالسًا أمامها وهو يتطلع إليها بنظرات فضولية.

أبعدت النظارة الشمسية عن عينيها وهي تنظر إليه بارتباكٍ ودهشة.

بينما ابتسم قائلًا:

- آسف إذا كنت قد أزعجتك أثناء نومك.

اعتدلت في جلستها قائلة:

- لم أكن نائمة ..بل مسترخية فقط.

- لو كان صلاح موجودًا الآن لطلبت منه أن يرسمك وأنتِ على هذه الحالة.

قالت بشيء من الحرج:

- وما الداعي لذلك؟

obeikandl.com

- لقد بدا وجهك ملائكيًّا ويصلح لأن يرسم في لوحة جميلة أقترح تسميتها بالجمال النائم.

خالط ابتسامتها شيئًا من الاستغراب وهي تقول:

- على أي حال أشكرك على هذه المجاملة اللطيفة.
- لكني لا أجاملك ..لقد عبَّرت عمَّا أحسسته.

تلفتت حولها بارتباك قائلة:

- أين نيفين؟
- ذهبت إلى الشالية منذ قليل ..أظن أنها تريد إحضار بعض الأشياء من هناك.

أشاحت نظرها عنه لتنظر في اتجاه وائل وهو جالس فوق رمال الشاطئ يبني قصورًا رملية ..وقد مرت بينهما برهة من الصمت قبل أن يسألها قائلًا:

- ألم تحاولي تعلُّم السباحة؟

ابتسمت قائلة:

obeikandi.com

- لقد كنت الأولى على مستوى الجمهورية في سباحة المسافات القصيرة وأنا في العاشرة من عمري ..والثالثة في دورتين أولمبيتين عربيتين.

نظر إليها بدهشة وهو يطلق صفيرًا طويلًا بين شفتيه قائلًا:

- يالها من مفاجأة ..إذن لماذا لا أراكِ تسبحين؟

عادت لتبتسم قائلة:

- لأني تجاوزت العشر سنوات وكبرت.

- آه ..فهمت ..أنتِ تخجلين من ارتداء المايوه ..لكن أظن أنهم ابتكروا ثيابًا محتشمة لسباحة النساء حاليًا.

على أي حال أنا تعجبني المرأة المحتشمة ..وإن كان لدي فضول شديد لرؤية سيدة أعمال جادة مثلك وهي تسبح.

قالت له ضاحكة:

- أتظن أن الأمر مثير للاهتمام إلى هذا الحد؟

فكَّر برهة ..ثم قال مازحًا:

- أعتقد ذلك.

- على أي حال ..فالسباحة لم تعد تستهويني.

obeikandl.com

- وما الذي يستهويك إذن؟
- أن أكون إنسانة ناجحة في عملي.

وفي تلك اللحظة أقبلت نيفين وفي يدها حقيبة متوسطة الحجم لتجلس بجوارهما قائلة:

- أحضرت لنا بعض العصائر المثلجة.

تناول خالد الحقيبة ليفتحها قائلًا:

- أحضرتها في الوقت المناسب ..فأنا أشعر بظمأ شديدٍ.

بينما سألتها سمر قائلة:

- أين خالك؟
- تركته جالسًا في الشرفة يطالع الجرائدالصباحية.
- وماذا عن صلاح؟
- لابد أنه مع نهى يتمشيان على الشاطئ.
- ألا يملّ من مصاحبة تلك الفتاة.

تناول خالد علبتي العصير قائلًا:

obeikandl.com

- عن إذنكما سأذهب لأتناول هذا العصير المثلَّج مع وائل ثم نلعب سويًا قليلًا.

كانت سمر منشغلة عن ثرثرة شقيقتها بالنظر من آنٍ لآخر تجاه خالد ووائل وهما يلعبان الكرة معًا ..وقد بدت لأول مرة تنتبه لما يبدو عليه الشاب من قوام فارع وجسد رياضي ممشوق وحيوية لم تعهدها فيه من قبل.

وكان من الواضح أن صداقة متينة قد نشأت بينه وبين ابنها.

وأنه استطاع في فترة قصيرة اكتساب ثقته ومحبته.

وما لبث أن التفت إليهما مبتسمًا وهو يقول:

- لِم لا تشاركاننا اللعب؟

استرخت نيفين في مقعدها قائلة بكسل:

- أنا متعبة ولا رغبة لي في عمل أي شيء الآن.

بينما اكتفت سمر بابتسامة هادئة دون التعقيب بشيء.

- إنها لا تدري ..ما الذي دهاها اليوم؟ وما الذي يجعلها تشعر بالارتباك كلما التقت نظراتها بخالد؟

وتساءلت:

- هل هي معجبة به؟ ولِمَ لا ..إنه رجل أعمال ناجح وشاب طموح استطاع خلال فترة قصيرة أن يحقق لنفسه مكانة كبيرة في عالم رجال الأعمال ..وهو..

وتوقفت عن الاستطراد فيما حاولت أن تفسر به إعجابها بخطيب اختها قائلة لنفسها في حيرة:

- هل هذا هو كل شيء؟ ..أم أنها تحاول ان تخفي عن نفسها مشاعر أخرى تخشى أن تبوح بها حتى لنفسها؟

وهل تستطيع أن تنكر أن إعجابها بخالد؟ فقد بدا منذ أول لحظة قابلته فيها حينما ذهبت لتوقيع إحدى العقود معه بين شركتها وأحد فروع المؤسسة التي يديرها؟

يومها، وجدَتْ نفسها أمام صورة نموذجية لرجل أعمال ناجح مازال في عنفوان شبابه يتميز بالنضج والوسامة .لم تنتبه وقتها أن هذا الإعجاب يدغدغ شيئًا في أحاسيسها ..بل سارعت بنقل هذا الإحساس تجاه شقيقتها.

وتطرَّق تفكيرها على الفور لكونه الشخص الأنسب للاقتران بنيفين . وغدت هذه الفكرة أمنية غالية بالنسبة لها.

فزيجة كهذه كفيلة بإنقاذ الشركة التي أوشكت على الإفلاس وتعديل أوضاعها المادية المضطربة ..بالإضافة لتأمين مستقبل أختها المادي.

هكذا فكرت فيه وقتها ..وهو ما دفعها إلى التحدث مع أختها بشأنه والسعي للتقريب بينها وبينه والتدبير لتلك الزيجة التي بدت كصفقة رابحة للجميع.

فاستضافته في منزلهم وعملت على إحداث التقارب بينه وبين نيفين.

ولم تنتبه حتى هذه اللحظة أن إعجابها بخالد لم يكن قاصرًا على الجانب المادي والشكلي فقط وكونه الفرصة الأمثل لأختها بل وجد طريقه لمشاعرها أيضًا ..واتخذ مسارًا لم تلحظه من البداية ولم يَدُر في عقلها من قبل.

وعندما تنبَّهت إلى ذلك، حاولت أن تنكره وتستبعده وكأنه ذنبٌ يلاحقها.

ضحكت نيفين وهي تلتقط الكرة من خالد قبل أن تصل ليد وائل قائلة:

- لم أكن أظن أن وائل سيتسحوذ على اهتمامك هكذا لدرجة أن يجعلك تنساني.

ابتسم لها قائلًا:

- من قال هذا؟ فقط أشعر بتقارب شديد مع هذا الصبي.

- يسعدني بالطبع أن تكون متقاربًا مع ابن أختي ..ولكن ليس إلى الحد الذي يجعلك منشغلًا عنّي طوال الوقت.

أسرع ليتناول يدها بين راحتيه وهو يهمس لها قائلًا:

- لا يمكن لأي شيء أن يشغلني عنك أبدًا.

رنت إليه بدلالٍ قائلة:

- هل تقول هذا من قلبك حقًا؟

- ألا تثقين في ذلك؟

- أتمنى أن أصدّقك ..فأوقات كثيرة أحس أن مشاعرك تجاهي بعيدة تمامًا عمَّا تحاول أن تظهره لي.

- إذن ..ما الذي يجعلني أترك أعمالي ومصالحي لأكون بقربك هنا؟

- ربنا لأنني ألححت عليك في ذلك.

- تأكدي أنه لا شيء يضطرني لترك أعمالي وتأجيل العديد من التزاماتي إلا رغبتي في أن أراك وأكون بجوارك.

نظرت إليه بريبة قائلة:

- أتمنى أن تكون صادقًا فيما تقوله.

obeikandi.com

قال لها مبتسمًا:

- إياك أن تنظري إليَّ هذه النظرة المرتابة مرة أخرى ..فأنا لا أحب أن يشكك أحدٌ في صدق ما أقول.
- إذن ..ما سبب تأخُّرنا حتى الآن في عقد القران؟
- لقد اتفقنا على أن نعلن خطوبتنا أولًا ..وأظن أنك أنتِ التي طالبت بذلك.
- ومتى تتم هذه الخطبة في رأيك؟
- كما تشائين ..ما رأيك في الخميس بعد القادم؟
- هل يحتاج الأمر للانتظار أسبوعين آخرين؟ لا أظن أن هناك ما يستدعي الانتظار كل هذا الوقت.
- لقد أردت أن نتريث قليلا قبل عقد الخطبة ..لذا..

قاطعته قائلة:

- ما رأيك لو عقدنا خطبتنا بعد عودتنا من الساحل الشمالي مباشرة ..أي بعد عشرة أيام من الآن.

هزَّ كتفيه قائلًا:

- لا مانع، فالفارق ليس كبيرًا.

obeikandl.com

- حسنًا، سنخبر الأسرة بذلك اليوم لو ناسبك هذا.
- فليكن..

وتطلع إلى سمر قائلًا:

- لِم تبدو أختك حزينة أحيانًا وجادة أكثر مما يجب أحيانًا أخرى؟ إنها تختلف عنك كثيرًا وتفتقد روح المرح التي تتميزين بها.
- هكذا هي سمر جادة وعملية دائمًا ..أما حالة الحزن التي تنتابها من حين لآخر فرافقتها منذ وفاة أبي رحمه الله.

فقد كانت شديدة التعلق به وكان هو مرتبط بها أكثر من أي فردٍ في الأسرة.

هزَّ رأسه قائلًا:

- من الواضح أنها كانت تحبه جدًا.
- كلنا أحببناه ..فقد كان مثالًا للأب الحنون العطوف الذي يهتم بأسرته رغم مسؤولياته العديدة.

لكن سمر بالذات كانت الأكثر اهتمامًا به ..خاصة أنه كان يثق كثيرًا في رأيها وحسن تقديرها للأمور.

وهو أيضًا كان مثلًا أعلى بالنسبة لها في كل شيء.

ويبدو أن هذا التقارب الشديد بينهما جعلها تعتاد التفكير والتصرف بطريقته وأسلوبه ..لا سيما وأنه كان يعدها لتحمل المسؤولية من بعده.

- وربما لأنه وجد لديها استعدادًا مبكّرًا لذلك.
- سمر لديها موهبة الإدارة بالفعل ..وعندها قدرة فائقة على مواجهة مسؤوليات العمل ومشاكله بصبر وجلد لا يتوافر في أحدٍ منا.
- هذا يفسر انفرادها بتولي مسؤولية الشركة التي ورثتموها عن أبيكم بعد وفاته.
- بالفعل ..وفي الحقيقة لولاها لخسرنا هذه الشركة منذ فترة طويلة.

التفت إليها قائلًا:

- وماذا عنك؟

الفصل الرابع

- أنا أختلف عنها كثيرًا ..فأنا أكره التقيُّد بأي التزامات أو مسؤوليات ..يمكن أن تقول إنني أعشق الحرية ..وتزعجني القيود.

- لا توجد حرية مطلقة فالوجه الآخر للحرية هو المسؤولية.

توقفت عن متابعة السير لتتمعن في وجهه قليلًا ..مما جعله يسألها متعجبًا:

- هل هناك شيء؟

- هه ..لا ..لا شيء ..دعنا نواصل سيرنا.

شردت بأفكارها وهي تسير إلى جواره بعد أن أثارت ذكرى قديمة وأليمة في نفسها.

ذكرى طالما حاولت نسيانها ..لكنها ظلت تعاودها من آنٍ لآخر.

فما قاله سمعت مثله من قبل .قاله لها رامز ..أول شخص تفتح له قلبها ..وأول حب دخل حياتها.

obeikandl.com

فقد نهرها وعنفها بشدة حينما علم أنها ذهبت في رحلة مع بعض زملائها في الكلية دون أن تخبره بذلك ..واتهمها بأنها إنسانة متحررة بأكثر مما يجب وليس لديها أي إحساس بالمسؤولية.

كانت تعلم أن رامز متشدد في أفكاره وآرائه ..لكنها كانت مدلهة في حبه.

وبالرغم من أفكاره المتزمتة إلا أنها كانت حريصة على ألا تغضبه وتقوم بتنفيذ كل تعليماته.

لذا قررَتْ ألا تفعل بعدها أي شيء دون موافقته ..وعاهدت نفسها على الالتزام بكل ما يطلبه منها رغم عدم وجود ارتباط رسمي بينهما.

لكن ارتباطها العاطفي به كان أقوى من أي ارتباط آخر.

مما جعله تنصاع خلال الأشهر القليلة التي عرفته وأحبته فيها لكل ما رفضته وتحررت عليه من قبل.

لكن مع الأسف فبقدر ما أحبته ..وبقدر ما أخلصت لأوامره ونواهيه بقدر ما صمدت حينما وجدته يفعل عكس كل ما أراد أن يقنعها أنه ملتزمٌ به تمامًا.

فقد اكتشفت ذات يوم أنه يختلف كثيرًا عن ذلك الشخص الذي أحبَّته وأخلصت له ..والتزمت بكل ما أراد منها أن تفعله.

انهار كل شيء أحبَّته من أجله حينما رأت خيانته لها ..والحياة الأخرى التي كان يحياها بعيدًا عنها ..

وكانت صدمتها في ذلك الشخص الوحيد الذي اخترق قلبها سببًا في تحطُّم هذا القلب وانهيار شيءٍ ما بداخله لم ينصلح حتى الآن.

خاصة وبعد أن وجدته يخونها مع أقرب صديقة إليها.

وهكذا انتهى حبها الوحيد ..وانتهت معه أشياء كثيرة كادت أن تؤمن بها وتصدقها من أجله قبل أن تلعنها وتلقي بها وراء ظهرها ..بعد اكتشافها لخيانته.

وقد قررت أن تنزع عنها كل القيود التي استسلمت لها طواعية.

عاد لينتزعها من شرودها قائلًا:

- متى توفي والد وائل؟
- منذ خمس سنوات تقريبًا.
- ألم تفكر سمر في الزواج بعد وفاته؟

ابتسمت قائلة:

- إنها ترفض مجرد الحديث في هذا الأمر.

قال باستغراب:

obeikandl.com

- لماذا؟

- شيئان فقط يستحوذان على تفكير سمر واهتمامها بالشركة ووائل.

- لكنها مازالت شابة ومن حقها أن تحب وتتزوج.

هزَّت كتفيها قائلة:

- لا أظن أن الحب عرف طريقه إلى قلب سمر.

حتى الرجل الذي تزوجته لم تقترن به عن حب ..بل كان ذلك بناء على رغبة أبي ..ولأنه كان اختياره وبتفكير عملي من جانبها.

- تقصدين أنه كان زواجًا قائمًا على العقل أكثر منه عن العاطفة الحقيقية.

- أعتقد أن كل خيارات سمر يحكمها العقل.

وتوقفت على الاستطراد في الحديث لتلتفت إليه قائلة:

- أليس لدينا حديث آخر نخوض فيه غير الحديث عن سمر وحياتها وشخصيتها؟

- آه ..طبعًا ..لدينا أشياء كثيرة لنتحدث عنها ..اهتماماتك مثلًا .. ما أكثر شيء تحبينه؟

obeikandl.com

قالت سريعًا:

- الرقص.

نظر إليها بدهشة قائلا:

- الرقص.

حركت جسدها بطريقة مرحة وشقية قائلة:

- أجل ..لا تقول لي إنك لا تجيد الرقص الغربي.

هزَّ كتفيه مبتسمًا وهو يقول:

- في الحقيقة ليس لدي وقتٌ كافٍ لارتياد المراقص ..وإن كنت أميل بعض الشيء إلى الرقص الهادي والموسيقى الناعمة.

ابتسمت بدورها قائلة:

- هذا يعني أن لك ميول كلاسيكية قديمة.

مطَّ شفتيه قائلًا:

- ربما.
- كنت أتمنى أن تكون ملمًّا ببعض الرقصات الحديثة.
- هل يهمك هذا الأمر كثيرًا؟

obeikandl.com

- من المهم أن يكون بيننا ميول مشتركة.

قال بلهجة تهكمية:

- آه ..حقًا ..ولا بد أن يكون الرقص إحداهن.
- ألحظ في صوتك نبرة تهكمية.
- لا أعتقد أن أمرًا كهذا يستحق مجرد الحديث فيه.

هناك أشياء أخرى أكثر أهمية تستدعي أن نولّيها اهتمامنا.

- أشياء مثل ماذا؟
- الأطفال مثلًا ..أنا أعشق الأطفال وأتمنى أن أنجب العديد منها.

قالت له ببرودٍ:

- أفضل أن نتريث قليلًا في التفكير بهذا الأمر.
- لماذا؟
- لأني غير مستعدة حاليا لمسألة الأمومة تلك ..على الأقل ليس قبل مرور خمس سنوات بعد زواجنا ..تفحصها بنظرة مدققة قائلًا:

obeikandl.com

- بالطبع من أجل الانطلاق والمرح والرقص ..وتلك الحرية التي تنشدينها ..أليس كذلك؟

- ولِم لا؟ أنا مازلت شابة والحياة قصيرة وتستحق أن نعيشها ونسعد بها.

- أظن أن الأمومة أيضًا أحد مصادر السعادة لأي امرأة.

- سيكون لدينا بالطبع طفلٌ أو اثنان ..ولكن ليس الآن ..دعنا نؤجل ذلك لما بعد ..فأنا أريد أن أستمتع بحياتي قبل أن أنشغل بمسألة الأمومة تلك.

- ليس هناك تعارض .. يمكننا أن نأتي بمربية لتشاركك في رعاية الأطفال.

- وماذا عن الحمل والرضاعة وكل تلك الأعباء؟ لا يا خالد ..إنها مسؤولية صعبة لا أستطيع تحمُّلها الآن.

قال لها مستسلمًا:

- على أي حال مازال الوقت مبكرًا للجدال حول هذا الأمر.

قالت بدلالٍ:

- أرجوك لا تغضب منّي ..لقد أردت أن أكون صريحة وواضحة معك منذ البداية في هذا الشأن.

أشار خالد إلى صلاح حينما رآه يسير برفقة نهى قائلًا:

- أليس هذا هو صلاح؟

ابتسمت وهي تنظر إليهما قائلة:

- أجل ..وهذه نهى ..الفتاة التي يحبها ويسعى للزواج منها.
- ولماذا لم يدعوها لمرافقتنا؟
- لأنها لا تلقى ترحيبًا ولا قبولًا من العائلة الكريمة فهم يرونها دون مستوانا الاجتماعي لأنها فتاة بسيطة مكافحة تعمل موظفة استقبال في أحد الفنادق السياحية القريبة هنا.
- هل يفكرون على هذا النحو حقًّا؟

قالت له مستخفة:

- بالطبع ..فأسرة نهى البسيطة ليست بالأسرة التي يمكن أن تصاهر عائلة مثل حافظ وهبة ذات الحسب والنسب، إنها العقد الاجتماعية القديمة كما تعرف.
- وماذا عن رأيك بهذا الشأن؟

- ربما كنت الوحيدة التي تساند صلاح وتشجعه على الارتباط بفتاته ..فأنا أكره تلك الفوارق الاجتماعية الحمقاء وبقايا التخلف الأرستقراطي المزعوم.

فلا يوجد ما هو أكثر أهمية من الحب والمشاعر الإنسانية الصادقة.

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة:

- بشرط أن تكون صادقة ومخلصة حقًا.

سألها بفضول:

- وما هو رأي سمر في تلك العلاقة؟

ابتسمت قائلة:

- سمر ..إنها تتزعم المعارضة بالطبع.

والتفتت إليه مستطردة:

- وما هو رأيك أنت؟

ابتسم قائلًا:

- لا يختلف عن رأيك بالطبع ..فلا يوجد ما هو أكثر أهمية في علاقة بين الطرفين من الحب.

obeikandl.com

- هل هو مجرد رأي نظري؟ ..أم أنك قادر على تطبيقه عمليًا؟
- ماذا تقصدين؟
- لو كانت لك شقيقة مثلًا وعرفت أنها تحب شابًّا بسيطًا ومن أسرة متواضعة الحال ..هل كنت تقبل أن تزوِّجها له؟

صمت برهة قبل أن يقول:

- أقبل بشرط أن تكون عاطفتهما صادقة كما تقولين ..ولا تخفي وراءها مطامع من جانب هذا الشاب.

حدقت في مياه البحر الممتدة أمامها بنظرة ساهمة وهي تغمغم قائلة بصوت خافت:

- أجل ..فلا يوجد ما هو أسوأ من المشاعر الزائفة والخيانة.

*****

ابتسم صلاح وقد تشابكت أصابعه بأنامل نهى وهما يسيران سويًا قائلًا لها:

- هل رأيت علاء الدين؟

نظرت إليه نهى بدهشة قائلة:

- علاء الدين.

obeikandl.com

ضحك قائلًا:

- أجل ..ومصباحه السحري.
- ما هذا المزاح السخيف؟
- أقصد العريس المنتظر لأختي نيفين.
- تقصد خالد رضوان ..ابن الملياردير رضوان راسخ صاحب مؤسسة....

قاطعها قائلًا:

- أجل ..إنه هو.

وأردف قائلًا:

- كان ينظر إلينا منذ قليل.
- هل يمكنني أن أراه أم ابتعدَ؟

أشار لها بإصبعه قائلًا:

- لم يبتعد كثيرًا ..ها هو يسير برفقة نيفين.

تطلعت إليها قائلة:

- هل تعرف ..لقد رأيته من قبل؟

obeikandl.com

قال لها بدهشة:

- رأيته.. أين؟

- هنا ..في الساحل الشمالي ..كان ينزل في الفندق الذي أعمل به .. أقام به حوالي ثلاثة أيام تقريبًا في الصيف الماضي.

قال لها مستغربًا:

- غريب ..أخبرنا أنه لم يأتِ إلى هنا منذ عدة سنوات ثم ما حاجته إلى الإقامة في فندق ولديه فيلا كبيرة وأنيقة هنا.

- لابد أنه وجد أن الإقامة في فندق أفضل بالنسبة لتوافر الخدمات التي يحتاجها رجل أعمال مثله.

- على أي حال ..فقد كانت أيامه مشحونة بالعمل والاجتماعات مع عدد من الأشخاص الذي توافدوا للقائه.

ولا أخفي عليك، كان كريمًا للغاية مع العاملين في الفندق فيما يتعلق بالإكراميات ..وأنا من بينهم بالطبع.

صمت برهة وهو يفكر قليلًا ..قبل أن تقطع صمته قائلة:

- أشعر أنك لا تستريح كثيرًا لزواجه من نيفين.

- بالعكس أنا أقدِّر الرجل وليس لدي أي اعتراض على شخصه لكني معترض على الطريقة التي يحاولون أن يدفعونه بها للزواج من شقيقتي.

فأنا لا أحب تلك الزيجات التي تشبه الصفقات والتي تشوبها المصلحة.

- لكني بحسب ما علمته منك فيبدو أنه ونيفين متحابان.

ضاقت حدقتاه قائلًا:

- هذا ما ظننته في البداية، لكني بدأت أشك في ذلك ويبدو أن نيفين تحاول أن تظهر لنا عكس ما تخفيه.

- ما أعرفه عن نيفين أنها جريئة وصريحة ..وفتاة مثلها ليست من النوع الذي يبهره الماديات فلِم وافقت على الارتباط به إذن إذا لم تكن تحبه؟

- لأن هذا ما أرادته سمر ..وأنت لا تعرفين مدى تأثير سمر عليها.

- لا يا صلاح ..ليس إلى هذا الحد ..أنا ونيفين صديقتان تقريبًا، وما استشفيته من خلال الفترة التي تعارفنا فيها يجعلني أثق أنها ليست تلك الفتاة الخنوعة التي يمكن إخضاعها لإرادة الآخرين.

أطلق زفرة طويلة من صدره قائلًا:

- هناك أشياء كثير تجهلينها عنا.
- ليتك تعرفني بكمٍّ أكثر.
- لا داعي لذلك ..فقد جئنا إلى هنا للاستجمام والاستمتاع بقضاء وقت طيب ..ولسه مضطرة لأن أشغلك بأمور شخصية.

قالت له مستنكرة:

- يبدو أنك نسيت أنني حبيبتك التي يفترض أن تشركها في كل ما يخصك ..خاصة إذا كنت تنوي أن تجعلني فردًا من أسرتك في المستقبل.

جلس على الرمال عاقدًا ذراعيه حول ساقيه وقدضمهما إلى صدره قائلًا:

- الثروة التي نمتلكها في طريقها للضياع ..والأحوال التي نشأنا عليها لن تستمر طويلًا.

جلست إلى جواره وهو يستطرد قائلًا:

- حتى الشركة التي ورثناها عن أبينا والتي تديرها سمر على وشك الإفلاس.
- قالت له بتعاطف:

- هذا خبر مؤسف بالفعل.
- أنتِ لا تعرفين مدى أهمية هذه الشركة وقيمتها المعنوية قبل المادية بالنسبة لسمر بالذات.

فهي تعتبر بالنسبة لها رمزًا لكفاح أبي ومصدر اعتزازه.

لذا رأت أنه لا بد من السعي وراء الاستعانة بإمكانيات وتمويل من مؤسسة أقوى وأكبر لتغطية ديون الشركة وإنقاذها من الإفلاس لتعود إلى مكانتها السابقة.

- ووجدتكم غايتكم في مؤسسة خالد رضوان.
- لا تشركيني في الأمر ..إنه القرار الذي توصَّلت إليه سمر.

أكملت قائلة:

- مما دفعها إلى الرغبة في الإسراع بزواج نيفين من خالد.
- وتمكنت من إقناعها بأن هذا الزواج هو الفرصة الوحيدة لإنقاذ الشركة ومستقبل العائلة كلها.
- هل تقصد أن نيفين قررت أن تضحي بنفسها من أجل الشركة والعائلة؟

obeikandl.com

- ليس بالضبط ..لكن نيفين تعرف جيدًا أن هذه الزيجة هامة للغاية بالنسبة للجميع وأن هناك مسؤولية كبيرة أصبحت ملقاة على عاتقها الآن.

- على أي حال فما فهمته من نيفين أنها معجبة بخالد وترحب بالزواج منه.

هزَّ كتفيه قائلًا:

- ربما ..وربما تتظاهر بذلك أو تريد إقناع نفسها أنها سعيدة بالفعل بتلك الزيجة.

- ولماذا تظن ذلك؟

- لأنني أعرف أختي جيدًا ..وأفهمها حينما تفرط في إظهار سعادتها على غير الحقيقة أمام الآخرين.

- لكنه شاب وسيم وثري ومن عائلة كبيرة ..وأي فتاة تتمنى الاقتران به.

التفت إليه قائلًا:

- نيفين تشبهني في أشياء كثيرة ومن بينها عدم الانبهار كثيرًا بالمظاهر الخارجية والماديات.

ابتسمت قائلة:

obeikandl.com

- لكنها محبة للسهرات والرحلات والمرح والانطلاق ..وكل تلك الأشياء ستتوافر لها حتمًا حينما تقترن بشخص مثل خالد.

- لا أنكر ذلك ..لكن ليس بتلك الصورة المبالغة التي أصبحت عليها الآن.

ولدي إحساس خفي بأنها تفرط في فعل ذلك لتخفي إحساسًا آخر .. ربما لتقنع من حولها وربما أيضًا لتقنع نفسها بأنها ليست تعيسة.

حدَّقت فيه بدهشة قائلة:

- تعيسة!

- هذا ما أشعره ..خاصة أنني رأيتها في أوقات كثيرة وهي منفردة بنفسها ومنخرطة في البكاء.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلًا:

- وعندما رأتني سارعت بإخفاء صورة في يدها وحاولت أن تجفف عبرات انسالت على وجنتيها.

لكني واجهتها وسألتها عن سبب بكائها وعن صاحب الصورة غير أنها لم تعطني إجابة شافية.

وهذا جعلني أثق بأن هناك شخصًا آخر في حياتها.

شخصًا لم ترد أن تخبرني به رغم ما بيننا من صداقة قوية.

- وماذا لو كان هناك شخصٌ آخر بالفعل؟

- إذن سيكون من الخطأ أن تتنازل عن هذا الشخص الذي تحبه مقابل أي شيء آخر ..وحتى لو عاد علينا ذلك بالضرر.

- لكن في هذه الحالة سينالك نصيب من الضرر أيضًا.

- بالنسبة لي فإنني أستطيع التأقلم مع كافة الظروف والأوضاع لأنني اعتدت منذ زمن طويل ألا أجعل المال هو أقصى طموحاتي.

obeikandl.com

تطلعت إليه بإعجابٍ شديدٍ قائلة:

- وهذا ما يميزك في نظري.

ابتسم قائلًا:

- يبدو أن كلانا يهوى الفقر.

ضحكت قائلة:

- ليس إلى هذا الحد فلا غنى عن المال ..المهم أن كلانا أصحاب مبادئ لا تتحكم فيها المصالح المادية ولا تخضع للأطماع.

أزاح خصلات الشعر التي تهدلت على جبينها وهو ينظر إليها بعاطفة جارفة قائلًا:

- أحبك.

نظرت إليه برهة ثم تحولت بنظراتها إلى البحر وهي تتنهد بعمق وقد اعترت وجهها ملامح الخوف.

فأدار وجهها إليه قائلًا:

- لِمَ كل هذه التنهيدة العميقة؟

تطلعت إليه قائلة:

- أخشى أن نعجز عن حماية حبنا ..فأسرتك سترفض اقترانك بي حتمًا.
- قلت لك من قبل أن هذا الأمر يخصنا وحدنا ولا علاقة لأحد بارتباطنا.
- لكنها عائلتك ولا يمكن الانفصال عنها.
- وهذا حقي ..إذا ما اضطرني الأمر فسوف أواجههم وأصر على التمسك بما هو حق لي حتى لو اضطرني الأمر إلى الانفصال عنهم.
- وأنا لا يمكن أن أرضى بذلك.

قال لها بإصرارٍ:

- لابد أن نتمسك بحبنا وندافع عنه ..لقد عرضت عليك من قبل أن نتزوج ونضع الجميع أمام الأمر الواقع لكنك رفضت.
- ومازلت أرفض فلا يمكنني أن أوافق على أي شيء يمكن أن يباعد بينك وبين أسرتك حتى لو كان هذا الشيء هو أنا.

ابتسم محاولًا التخفيف عنها وهو يقول:

obeikandi.com

- على أي حال الأمر ليس بتلك الصعوبة التي تظنينها ..بالنسبة لأمي، فأنا أستطيع إقناعها بزواجنا ومواجهة أي خلافات بسيطة يمكن أن تحدث بيننا في هذا الشأن.

وخالي رجل طيب ومسالم كما تعرفين ولا أظن أنه سيعترض على زواجنا أبدًا.

وبالنسبة لنيفين فهي منحازة لك منذ البداية.

الصعوبة الحقيقية ستكون في إقناع سمر بهذا الأمر.

- لا أدري لِم تكرهني إلى هذا الحد؟

- هي لا تكرهك ..بل هي ضحية لأفكار ومعتقدات زرعها أبي في عقلها حول المستوى الاجتماعي والتكافؤ وأشياء من هذا القبيل.

لكني واثق أنها ستخضع للأمر الواقع في النهاية وترضى بزواجنا.

أطلقت زفرة طويلة من صدرها قائلة:

- أنت تحاول التهوين من الأمر لكني أعرف جيدًا أنهم سيعارضون فكرة زواجك من موظفة بسيطة تعمل في أحد الفنادق مثلي وتنتمي لأسرة متوسطة الحال ..خاصة سمر.

قال لها بلهجة حادة:

obeikandl.com

سمر ليست وصية عليَّ وليس لها الحق في أن تتحكم في حياتي.

- ومستقبلي ومشاعري.

*****

أحست سمر بالقلق والاضطراب حينما فوجئت بوائل وقد اختفى فجأة من أمام عينها.

فاندفعت تبحث عنه على الشاطئ وفي البحر دون أن تعثر له على أثر ..فأخذت تنادي عليه بأعلى صوتها وقد ازداد قلقها.

وما لبثت أن سمعت صوته يناديها قائلًا:

- أمي ..أنا هنا.

التفتت لتراه قادمًا بصحبة خالد وهو يلوح لها مبتسمًا .فاندفعت إليه بلهفة لتضمه بين أحضانها وهي تردد قائلة:

- الحمد لله ..الحمد لله ..أين ذهبت؟

اقترب خالد ليحدثها بنبرة هادئة قائلًا:

- كنا نتناول بعض المثلجات سويًّا.

قالت موجهة حديثها لوائل:

- كان يتعين عليك أن تخبرني ..لقد حذَّرتك من قبل ألا تبتعد دون أن تستأذن منِّي.

قال خالد معتذرًا:

- في الحقيقة المذنب هو أنا ..فقد ألححت عليه أن يأتي معي .. وكنت مغمضة العينين ..فظننت أنك نائمة وطلبت منه ألا يوقظك.

نهضت وهي تحاول التغلب على مظاهر القلق التي اعترت وجهها لتنظر إليه بابتسامة هادئة قائلة:

- الحمد لله أنه كان بصحبتك ..فأنت لا تعرف كم هو شقي هذا الولد.

ابتسم بدوره قائلًا:

- بالعكس ..إنه لطيف للغاية.

تلفتت حولها قائلة:

- ولكن أين ذهبت نيفين؟

التقت ببعض صديقاتها على الشاطئ منذ قليل ..ولم أجد لي مكانًا بينهن فتركتهن وذهبت مع وائل.

- وأشار إلى البحر مستطردًا:
- ألا تريدين أن تسبحي قليلًا؟

قالت له مبتسمة:

- يكفيني الجلوس على الشاطئ وتأمُّل البحر.
- إذن هل تسمحين لي أن أسبح ؟

قالت سريعًا:

- بالطبع ..تفضل.

وانطلق خالد ليقفز في الماء يركض الصبي خلفه محاوِلا اللحاق به.

فنادت عليه سمر محاولة إثنائه ..لكن خالد طمأنها قائلًا:

- لا تخافي إنني أراقبه ..وهو سبَّاح ماهر.

وبعد قليل صعد خالد إلى الشاطئ ليجفف جسده ..قائلًا لها:

- لا تخافي على وائل إنه مع الأستاذ منصور خالك وهو يعلّمه السباحة.

وابتسم مردفًا:

- وائل الذي يعلّم خالك السباحة بالطبع.

obeikandl.com

ضحكت قائلة:

- أنا قلقة بشأن خالي هذه المرة.

ومرت بينهما برهة من الصمت قطعها قائلًا:

- أتحبين أن نسير على الشاطئ قليلًا؟

نهضت قائلة:

- آه ..لا مانع.

سارا متجاورين فوق الرمال وقد لفّهما الصمت.

حيث بدت في أبهى صورة لها وقد لوحتها أشعة الشمس فأضفت عليها لونا خمريًا جذابًا.

بينما أخذ يختلس النظر إليها من آنٍ لآخر قبل أن يبادرها قائلًا:

- الطقس رائع اليوم.

هزَّت رأسها موافقة وهي تقول:

- أجل ..أستاذ خالد كنت أود أن أسألك عن....

قاطعها قائلًا:

obeikandl.com

- خالد فقط ..لا أظن أن هناك أي داعٍ لتلك الرسميات بيننا بعد الآن.

- حسنًا ..أردت أن أسألك عن الماكينات الجديدة التي سمعت أنك في طريقك لإحضارها من إيطاليا.

ابتسم قائلًا:

- إنك متابعة جيدة ..أنا في طريقي للتعاقد على إحضارها بالفعل ..فسوف أسافر إلى إيطاليا خلال الأسابيع القادمة للاتفاق مع الشركة الإيطالية وشحنها إلى مصر.

- هذا يعني أنكم ستتمكنون خلال أشهر قليلة من تقديم نوعية أفضل من العبوات البلاستيكية المعالجة وسيكون إنتاجكم أكثر غزارة في السوق المصرية والعربية مستقبلًا.

هز رأسه قائلًا:

- أتمنى ذلك.

- لقد وعدتني بحصة إضافية من تلك الصفقة لصالح شركتنا وطرحها باسمنا في السوق ..طبعًا مقابل نسبة الربح المتفق عليها.

- وأنا عند وعدي ..المصنع والشركة تحت أمرك.

ترددت قليلًا قبل أن تقول له بحرج:

- لا أعرف كيف أشكرك ..في الحقيقة أنا لن أستطيع دفع التكلفة المطلوبة للإنتاج في البداية .لكني أعدك أن أسدد تلك التكلفة مع الأرباح بعد التعاقد مع التجّار على شراء الكميات المطلوبة من شركتنا.

قال لها وقد بدا متبرّمًا من هذا الحديث:

- لا تشغلي تفكيرك بتلك الأمور ..فنحن الآن أسرة واحدة وهذه ليست أول مرة نتعامل فيها معًا.

تهلل وجهها قائلة:

- في الحقيقة أنا ممتنة لك للغاية ..فلا تعرف مدى حاجة شركتنا لتلك الحصة.

تأملها قائلًا:

- ليتك تحافظين على هذه الابتسامة المرتسمة على شفتيك.

أحست بشيءٍ من الارتباك وتضرج وجهها بالاحمرار وهي تسمع منه ذلك ..وزادتها اضطرابًا تلك النظرة النافذة التي يرمقها بها.

obeikandl.com

بينما أدهشه أن يجد هذه المرأة الفولاذية كما يصفونها وقد انتابها الخجل، وتورد وجهها على هذا النحو لكلمة إطراء وصف بها ابتسامتها .فبدت كفتاة صغيرة في سن المراهقة.

قالت وهي تحاول التغلب على خجلها:

- أستاذ خالد ..أنا...
- خالد فقط، لقد اتفقنا على ذلك.
- إنني أأمل أن يكون بيننا مزيد من التعاون في مجال التسويق والتوريد ..و...

قاطعها مجددًا قائلًا:

- من الأفضل ألا نتطرق لأي مواضيع خاصة بالعمل الآن ..ونضع ذلك لما بعد عودتنا من الساحل الشمالي.
- إذن، هل تفضّل أن نتحدث عن ترتيبات زواجك من نيفين؟

فاجأها بقوله:

- بل أفضِّل أن نتحدث عنكِ أنت.
- أنا.
- أجل ..أود لو عرفتك أكثر.

obeikandl.com

قالت له بابتسامة مضطربة:

- لكنك تعرفني بالفعل.

- كل ما أعرفه هو أنك سيدة أعمال ناجحة ..وأنك امرأة قوية لتتحملين مسؤولية أسرتك بكفاءة عالية بعد وفاة أبيك.

لكني لا أعرف الكثير عن الجانب الإنساني في شخصيتك ..عنك كامرأة.

تبدَّل ارتباكها إلى شيء من الجفاء وهي تقول:

- وما الذي يهمك في ذلك؟

- ألا يكفي أنك شقيقة الفتاة التي سأتزوجها لكي أكون مهتمًا؟

قالت بنبرة أكثر جدية:

- أعتقد أنه من الأفضل أن تبدي هذا الاهتمام بنيفين نفسها.

- هذا لا يمنع أنك تثيرين فضولي بشأنك.

- لماذا؟

- لأنني أراك أحيانًا بصورة مختلفة عن ذلك القناع الصارم الذي تحرصين على وضعه على وجهك.

obeikandl.com

قالت بنبرة متهكمة هذه المرة:

- كنت أظنك رجل أعمال فقط وليس طبيبًا نفسيًّا.

ابتسم قائلًا:

- رجل الأعمال لابد أن يكون له بصيرة نافذة في تعاملاته مع الآخرين خاصة إذا كان يتعامل في مشروعات تدر الملايين.
- أتراني حقًا ممن يختفون وراء الأقنعة؟
- هذا ما أراه بالفعل.
- وأنا أرى أنك متطرف في حكمك عليّ ..فأنا لا أخفي شيئًا يتعارض مع شخصيتي الحقيقية التي يراني عليها الآخرون.
- ومع ذلك يبدو أن كل هذا المظهر الجدي الذي تحيطين نفسك به لا يلائمك.

مطّت شفتيها قائلة:

- حسنًا ..إنه رأيك على أي حال ..لكن هذه هي أنا ..فأنا إنسانة جادة بالفعل في عملي وفي حياتي.
- لماذا؟ لأنك تديرين شركة كبيرة وتريدين أن يراك الجميع في مظهر سيدة الأعمال الحازمة والصارمة.

obeikandl.com

- بالعكس فأنا أمارس حياتي بطريقة طبيعية ..لكنها منظَّمة وأنا سعيدة بحياتي على هذا النحو.

- وهل ترين أنه من الطبيعي لامرأة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها أن يكون لها كل هذا القدر من الجمال وتخفيه وراء عدسات نظارة طبية وقعصة الشعر تلك ..وهذه الثياب التي تجعلها تبدو كما لو كانت في الخمسين من عمرها؟

ازدادت اضطرابًا ..ولم تدرِ لم اعترتها كل تلك المشاعر المتناقضة .. ما بين الإحساس بالإطراء لما قاله ..ورفضها لتدخُّله في شؤونها الشخصية بهذه الجرأة وعلى هذا النحو.

ووجدت نفسها تجيبه قائلة:

- وماذا لو كنت راضية عن نفسي هكذا؟

- تقصدين أنك تآلفت مع أن تكوني هكذا ..لأنك تخشين أن يرى الآخرون الجانب الآخر من شخصيتك.

قالت له بابتسامة تهكمية:

- يبدو أنك مازلت مُصرًّا على القيام بدور المحلل النفسي.

تجاهل نبرتها التهكمية قائلًا:

- أريد أن أسألك سؤالًا ..وأتمنى أن تجيبيني عليه بصراحة.

obeikandl.com

_هل تزوجت من والد وائل عن حب؟

فاجأها سؤاله ..وهمت بأن تقول له إنه لا شأن له بذلك لكنها وجدت نفسها تجيبه قائلة:

- كان بيننا قدر كبير من التفاهم والاحترام المتبادل.
- لقد سألتك عن الحب.

قالت له متلعثمة:

- بالطبع كان الحب موجودًا أيضًا.

حاصرها بنظراته قائلًا:

- لا أظن ذلك.
- قطبت جبينها وأنحت وجهها عنه كما لو كانت غير راغبة في مواصلة هذا الحديث بينهما.

لكنه استمر يسألها قائلًا:

- لماذا لم تتزوجي مرة ثانية؟

أجابته بصوتٍ يغلب عليه التوتر:

obeikandi.com

- لأنني اكتفيت برعاية وائل وأسرتي وتأمين مستقبلهم ولم أعد راغبة في الزواج مجددًا.

سبقها بخطوتين وهو يتوقف ليواجهها قائلًا:

- أظن أنك بحاجة لأن يعرف الحب طريقه إلى قلبك ولو لمرة واحدة.

أحست باضطراب شديد لم تعهده في نفسها من قبل وهي تحدق في وجهه ولا تدري بما تجيبه.

فعبارته الأخيرة أربكتها وحرَّكَت أوتار في قلبها عهدتها ساكنة دائمًا.

وأنقذها من حيرتها واضطرابها عودة وائل واندفاعه ليفصل بينهما وهو يلح على خالد ليسبح معه.

وسرعان ما استجاب له ليتركها واقفة بمفردها وهي تنظر إليهما .. قائلة لنفسها:

- لماذا يصر على أن يقحم نفسه في مشاعري على هذا النحو؟

وبأي حق يسمح لنفسه أن ينتقدني ويتدخل في حياتي الخاصة؟

ما شأنه هو إذا ما كنت أتزوج أو أحب؟

وتساءلت لماذا تجعلها كلماته مضطربة على هذا النحو وهي التي عهدت نفسها قوية وصلبة في أصعب وأشد المواقف؟

بل ما الذي جعلها تشعر بكل هذا الضعف أمامه ولا ترد عليه الرد المناسب؟

إن كل ما يعنيها منه هو زواجه من شقيقتها وما يحققه ذلك من عائد مادي واجتماعي لأسرتها .وأنها وجدت فيه الشخص الذي يمكن أن ينتشل شركتها من عثرتها وتسديد ديونها.

لكن هذا لا يعطيه الحق في أن يحدّثها بهذه الجرأة وأن يقحم نفسه في شئونها الخاصة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

عندما عادت سمر إلى الشاليه اتخذت قراراً بأن تكون أكثر حزمًا في تعامُلها مع خالد بالرغم من حاجتها الماسة إلى مساعدته، فهي لا تحب أن يتدخل أحدٌ في حياتها الشخصية بتلك الجرأة وهذا التطفل، إنه فقط الشخص الذي سيتزوج من شقيقتها ..لكن هذا لا يعطيه الحق في أن يتدخل في شئونها.

ما شأنه هو بقلبها ومشاعرها وما إذا كانت قد أحبَّت أم لا؟

وبالرغم من ذلك، حينما انفردت بنفسها في حجرتها تطلعت إلى المرآة على نحو لم تفعله من قبل.

وقفت تتأمل ملامحها وتفاصيل جسدها وهي تستعيد كلماته التي أخذت تلح عليها بالرغم منها.

وظلَّ يرن في أذنها ما قاله" هل من الطبيعي لامرأة لها هذا القدر من الجمال أن تخفيه وراء عدسات نظارة وأن تعقص شعرها على هذا النحو."

تساءلت في فضول وهي ما زالت تحدق في نفسها في المرآة:

- هل يراها جميلة بالفعل؟

وما لبثت أن نزعت عدسات النظارة عن عينيها وأسدلت شعرها وهي مستمرة في النظر إلى المرآة ..وقد همست لنفسها وهي تحاول مقاومة ابتسامة تسللت إلى شفتيها قائلة:

- هذا حقيقي ..إنني أبدو جميلة بالفعل وإن كنت لم أنتبه لذلك من قبل.

ووجدت نفسها تتساءل في دهشة كيف تجاهلت أنوثتها إلى هذا الحد؟

لقد أصرَّت على أن تعطي الأولوية لعملها وشركتها دائمًا وانساقت وراء المسؤولية التي تحملها على أكتافها تجاه أسرتها لتدور في دوامة العمل والمنافسة المهنية ..والأرباح والخسائر ..حتى كادت تنسى أنها امرأة.

امرأة من لحم ودم ..وليست فولاذية كما يدعونها وما قاله خالد اليوم جعلها تنتبه إلى ذلك ..وتلتفت لأنثوتها التي أهملتها من قبل.

وما لبثت أن ألقت بجسدها فوق فراشها وهي تحدق في سقف الغرفة مرددة لنفسها ..ليست كلماته فقط هي التي استدعت ذلك الإحساس الجميل الذي لم تستشعره من قبل.

بل تلك النظرة التي كان يرمقها بها والتي كشفت عن مقدار ما يحمله لها من إعجابٍ.

كانت نظراته وكأنها تغوص في أعماقها لتكشف عن ذلك الجانب الخفي الذي أهملته ولم تستطع هي نفسها أن تحسه.

وانتابها إحساس بدهشة ..فما شعرت به اليوم وهي تسير إلى جوار خالد وتتحدث إليه شعور لم يصادفها من قبل ولم تعتَده.

ولم تنتبه وهي مستغرقة في تلك المشاعر الحالمة أنها تشعر بانجذاب إلى هذا الرجل دون وعيٍ منها وعلى النحو الذي لم تستشعره تجاه أي رجلٍ آخر ممن صادفتهم طوال سنوات عمرها بما فيهم زوجها الراحل.

وتنبهت فجأة لتلك الأحاسيس التي غمرتها، فتقلصت ملامحها واعتدلت جالسة فوق الفراش منزعجة وهي تردد لنفسها:

- ما هذه الأفكار الغريبة التي تنتابني؟ وأي مشاعر حمقاء تلك التي أنقاد إليها؟

هذا الرجل سيكون قريبًا زوجًا لشقيقتي ..فكيف سمحت لنفسي أن أفكر فيه على هذا النحو؟

وظللت وجهها سحابة من الخوف ما لبث أن أعقبها شعور بغضب جارف.

من نفسها وهي تغمغم قائلة:

- لابد أنني قد جننت ..كيف نسيت نفسي على هذا النحو؟

ونهضت من فراشها لتعقص شعرها من جديدٍ وتعيد النظارة إلى مكانها فوق عينها وهي تتجنب النظر إلى المرآة.

ثم تحولت بغضبها إلى أمها قائلة بانفعالٍ:

- أين ذهبت نيفين؟ وماذا تفعل الآن؟ كيف تترك خطيبها لتذهب مع صديقتها وهي تعرف أنه جاء إلى هنا خصيصًا من أجلها؟

وبينما هي حائرة في خضم تلك المشاعر المتضاربة التي تعتريها كانت نيفين مستغرقة في تلك اللحظة في الرقص مع صديقاتها وأصدقائها داخل أحد المراقص.

وبدا من الواضح أنها لا تعير أي اهتمام لتلك الأفكار التي تراود شقيتها بشأنها وشأن خطيبها.

كان رقصها هستيريًا وبانفعالٍ زائدٍ كما لو كانت تريد أن تخرج شحنة من الغضب والألم المكبوت بداخلها.

وما لبثت أن توقفت للحظة عن مواصلة الرقص حينما رأت ذلك الشاب الذي أحبته وهو يدخل إلى صالة الرقص متطلعًا إلى الموجودين.

ثم ما لبثت أن عاودت الرقص مرة أخرى دون أن تبعد نظراتها عنه.

وما إن وقعت عيناه عليها حتى حدجها بنظرة غاضبة في حين حوَّلَت هي نظرتها عنه وهي مستمرة في الرقص دون أن تعيره اهتمامًا .

ظلَّ واقفًا في مكانه يحدق فيها بنظراته الغاضبة وقد همَّ بالذهاب إليها والتحدث معها.

لكنه ما لبث أن تراجع ..وأسرع بمغادرة المكان.

بينما عادت نيفين لتنظر نحوه لتجده قد رحلَ ..فتوقفت عن الرقص مجددًا وقد أغشت وجهها سحابة من الحزن قبل أن تعاود الرقص من جديد وهي تحاول أن تخفي تلك العبَرَات التي ترقرقت في عينها.

وفجأة رأت أختها ماثلة أمامها وفي عينيها نظرة حانقة.

فتوقفت عن الرقص قائلة:

- سمر.

قالت لها بغضبٍ:

- ما الذي تفعلينه هنا؟

هزَّت كتفيها بلا مبالاة قائلة:

- كما ترين.

جذبتها من ذراعها قائلة:

- أظن أنه قد آن الأوان للتوقف عن هذا العبث.

لكنها جذبت ذراعها من يدها قائلة:

- أي عبثٍ ..إنني أرقص وأمرح مع أصدقائي.

احتدت عليها قائلة:

- وهل نسيتٍ أن لك خطيبًا جاء إلى هنا خصيصًا من أجلك ويتعين أن تكوني برفقته الآن؟

- لكنه لم يصبح خطيبي بعد.

عادت لتجذبها من ذراعها بعيدة عن ساحة الرقص:

- لكنكما في حكم المخطوبين ..وستكونان كذلك خلال الأيام القادمة بصفة رسمية.

لكنها انتزعت ذراعها مجددًا من بين أصابعها:

- أنا لست موافقة على هذه الخطبة ولا أريدها.

نظرت إليها سمر بانزعاجٍ شديدٍ قائلة:

- ما هذا الذي تقولينه؟ هل جننت؟

obeikandl.com

قالت لها بتحدٍّ وهي تضع يدها حول خصرها:

- ما سمعتِه؛ لا أريد الاقتران بخالد.
- أي تخريف هذا الذي تقولينه؟
- ألا يحق لي أن أرفض الاقتران بشخصٍ لا أريده ..سمِّه خَرَفًا إذا شئت.
- لكن هذا لم يكن رأيك من قبل ..فقد وافقت على تلك الزيجة بالفعل.

قالت وقد ازدادت نبرتها تحديًا:

- وها أنا قد تراجعت عن تلك الموافقة ..هل تسمحين لي الآن أن أعود لأصدقائي؟

جذبتها بطريقة أشد عنفًا هذه المرة قائلة:

- بل ستعودين معي الآن إلى الشاليه.

لكنها قاومتها وهي تنتزع يدها من قبضتها قائلة بانفعال:

- كفاكِ وصاية علي ..لقد أصبحت كبيرة بقدر كافٍ لكي لا أكون تحت وصايتك أو وصاية أي أحد.
- أنا شقيقتك الكبرى ..ومصلحتك تهمني.

obeikandl.com

- وأنا أعرف ما هي مصلحتي.
- أنت لم تنضجي بعد.
- لماذا؟ لأنني أرفض الزواج من الشخص الذي اخترته لي.
- أي فتاة تتمنى الزواج من شاب مثل خالد رضوان.

قالت لها ساخرة:

- بالطبع ..فهو شاب وسيم وثري ومن عائلة مرموقة ..أعرف كل ذلك وأنت رددته لي كثيرًا ومع ذلك فإنني لا أراه الشخص المناسب لي.
- ولِمَ وافقت عليه في البداية إذن؟
- لأنك أردت ذلك.
- هذا غير صحيح ..لقد كنتِ سعيدة للغاية لرغبته في الزواج منك.
- بل كنت أتظاهر بذلك ..لكني في الحقيقة كنت أستجيب لرغبتك أنت وإلحاحك عليَّ في الاقتران به ..لمصلحة الجميع تظاهرت بالسعادة حتى لا تشعرين أنك دفعتني لتلك الزيجة دون رغبة منِّي.

لقد ألقيت بالمسئولية على كاهلي بعد أن أطلعتني على حالة الشركة وأخبرتني أننا مهددون بالإفلاس وأنَّ اقتراني بخالد هو الحل لكل مشاكلنا.

فلم يكن أمامي سوى أن أرضخ وأنفّذ ماطلبتِه وأنا أتظاهر بالسعادة وأعمل على التقارب منه وأمثل عليه دور الحب.

- وما الذي حدث الآن لتغيري رأيك؟ منذ يومين فقط كنت متحمسة لإتمام الخطوبة خلال الأيام القادمة.

شردت نيفين بنظراتها قائلة:

- حدثت أشياء كثيرة.
- لابد أن صلاح وأفكاره الغريبة هي التي جعلتك تتغيرين على هذا النحو.
- لا دخل لصلاح بذلك.
- أهو خالد؟ هل قال لك شيء ضايقك؟

صاحت في وجهها قائلة:

- إنه أمر يخصني وحدي ..لم أعد أريد الاقتران بخالد ..وأظن أن هذا يكفي.

obeikandl.com

لكن سمر احتدت بدورها قائلة:

- كلا ..لا يكفي ..هذا أمر لا يخصك وحدك لتجعليه عرضة لأهوائك وتقلباتك.
- وهل ستجبرينني على الزواج منه رغم إرادتي؟
- إذا اضطررتني لذلك سأفعل.
- بأي حق؟
- بحق مسئوليتي عنك وعن بقية أفراد الأسرة التي تنتسبين إليها.
- أنا مسؤولة عن نفسي ..ومن فضلك يا سمر ..دعيني ننهي هذا الجدل العقيم الآن ..فالناس بدأوا ينتبهون لنا ونظرتهم تتطلع إلينا.

جذبتها من يدها لتجبرها على الجلوس قائلة:

- أي ناس هؤلاء الذين تتحدثين عنهم؟ ..مجموعة الصبية والمراهقين ..أنا لا يهمني أحد من هؤلاء.

قالت لها بضجرٍ:

- حسنًا ..ما الذي تريدينه منّي الآن؟

- أريدك أن تقدمي لي سببًا واحدًا مقنعًا لتحوُّلك المفاجئ هذا تجاه خالد.

اغرورقت عيناها بالعبرات قائلة:

- لأنه لا يحبني كما ظننت ..أيكفيك هذا؟

نظرت إليها بدهشة قائلة:

- ماذا تقولين؟

- ما سمعته.

- لكني كنت أراكما متقاربين للغاية حتى هذا الصباح.

قالت لها بحزنٍ:

- وهذا ما ظننته أيضًا ..لكني كنت مخطئة ..فهو لا يحبني وليس متحمسًا مثلك للزواج مني كما تظنين.

حاولت سمر أن تقول شيئًا ..لكن الكلمات تعثَّرت بين شفتيها بينما أردفت نيفين قائلة:

- هل عرفت الآن ما الذي جعلني أبدِّل موقفي ..هذا الشخص لم يحبني ..ولن يحبني وهذا يعني أنك أخطأتي في حساباتك بشأن تلك الزيجة.

obeikandl.com

وما لبثت أن أجهشت بالبكاء وهي تسرع بمغادرة المكان بينما سمر جامدة في مكانها للحظة قبل أن تبادر باللحاق بها لتسألها قائلة:

- هل صارحك بذلك؟

قالت وهي تمسح عبراتها:

- لم يكن بحاجة لذلك ..فكل تصرفاته كانت تدل على ذلك.
- لكن ما رأيته اليوم لم يكن يدل على أنه....

قاطعتها قائلة:

- لا تنخدعي كثيرًا مما رأيته فإحساسي أوضح لي حقيقة مشاعره رغم المشاعر الخادعة.
- وما الذي يدعوه إلى التظاهر بمشاعر غير حقيقية؟
- ربما لأنه وجد نفسه متورطًا في هذا الأمر.

قالت له منفعلة:

- ما هذا الكلام الأحمق؟ أتظنين أن رجل أعمال كبيرًا مثله ..له خبراته ومكانته وتعاملاته المتعددة يكلِّف نفسه بالمجيء إلى هنا ويتظاهر بمشاعر غير حقيقية لأنه وجد نفسه متورطًا بزيجة لا يريدها؟

- شقيقتي العزيزة ..أنا لست فتاة حمقاء وساذجة كما تظنين .. وإحساسي لا يمكن أن يخدعني تجاه شخص لا يحمل لي أي مشاعر عاطفية حقيقية .كل ما هنالك أنه ما زال مقيَّدًا بصلات وارتباطات قديمة جمعته بعائلتنا وبالتقدير الذي يحمله هو وأبوه لوالدنا .وهو ما يصعب الأمر عليَّ ..وأعتقد أنه يحاول مجاورتنا في المشروع الذي عقدتي الآمال عليه حتى يجد لنفسه مخرجًا من هذا الارتباط.

دفعتها إلى داخل السيارة ..ثم قادتها قائلة:

- وأنا أرى أن كل ما تقولينه هو مجرد أوهام ..وتخيلات ..أنت تتصرفين بمشاعر فتاة مراهقة ..وتفرطين في خيالاتك العاطفية تجاه فارس الأحلام الذي تتمنينه.

وهذا أمر يصعب تحقيقه مع رجلٍ ناضجٍ وعملي مثل خالد.

لذا عليك أن تكوني أكثر واقعية في تقديرك وفهمك له.

قالت لها معترضة:

- أنتِ تعرفين جيدًا أنني لست تلك الفتاة التي تتحدثين عنها كما تعرفين أيضًا أنني لم أكن يومًا ما مغرمة بخالد أو مفرطة في مشاعري نحوه ..وأظن أن هذا الشيء متبادل بيننا.

- ما دام الأمر كذلك ..فما هي المشكلة ولم لا تكوني عملية بشأن اقترانك به؟

- المشكلة هي أنني لن أنتظر حتى يأتيني الرفض من جانبه فهذا شيء جارح لمشاعر أي فتاة.

لذا إذا أردت أن أكون عملية فمن الأفضل أن ننهي هذا الأمر الآن .. فهذا هو الأفضل للجميع ..وسأعفيه من الحرج وأحفظ لي كرامتي على الأقل.

- لِم كل تلك العبرات التي أراها محتبسة في عينيكِ طالما لا تحبينه؟

- أنتِ امرأة مثلي ..وتفهمين جيدًا أنه من الصعب على المرأة أن تشعر بأنها مرفوضة ..حتى لو أتى الرفض من رجلٍ لا تحبه.

أوقفت سمر السيارة أمام باب الشاليه ..وبقيت صامتة لبرهة قبل أن تلتفت إليها قائلة:

- ليتك لا تتسرعين بالتحدث معه بما قلت الآن ..فربما ما زالت هناك فرصة لتتبدل مشاعرك ومشاعره....

غمغمت نيفين قائلة:

- أعتقد أن هذا الأمر لم يكن مريحًا منذ البداية ..وكان مشوبًا بشيءٍ لم يسترح له ضميري.

حدقتها سمر بنظرة ثاقبة قائلة:

- كفاك تظاهرًا بالبراءة ..أتظنين أنني لم ألحظ مدى حرصك على أن تنالي إعجابه منذ البداية؟

قالت وعلى وجهها مسحة من الحزن:

- ربما كان ذلك صحيحًا في البداية كما تقولين ..وقد أكون بلا وعي مني قد وجدت في ارتباطي بخالد ما يخفف عنِّي أحزاني .. وأملت أن أجد في حبه لي وارتباطي به العزاء لتجربة عاطفية فاشلة.

- ماذا تقصدين؟

فتحت نيفين باب السيارة وهي تستعد لمغادرتها قائلة:

- لن يمكنك أن تفهمي ما أقوله أو أحسه ..لأن المشاعر والأحاسيس ليس لديها مكانٌ عندك ..والحب لم يعرف طريقه يومًا إلى قلبك.

حدقت فيها بصمت وهي تغادر السيارة متجهة إلى المنزل.

أحسَّت بأن شقيقتها الصغيرة تفاجئها للمرة الثانية كما فعل خالد بأشياء كثيرة ظلت رغم خبرتها في الحياة عاجزة عن إدراكها أو فهمها.

وعندما اختلت بنفسها في حجرتها ظلت تفكر فيما قالته نيفين.

كان لابد وأن تعترف بأن حساباتها مع نفسها ومع الآخرين كانت تخضع دائمًا للعقل والتفكير ..دون أن يكون للمشاعر مكان ضمن هذه الحسابات.

لكن هذا لا يعني أنها إنسانة جافة وباردة المشاعر.

فقد أحبَّت دائمًا أسرتها وابنها الصغير حُبًّا يفوق تخُّيل أي منهم.

لكنها أحبتهم على طريقتها.

حُبًّا عمليًا بعيدًا عن الكلمات المنمَّقة والمظاهر.

ليت نيفين تعلم أنني لست بمثل هذه القوة والصلابة التي أبدو عليها.

وأن بداخلي امرأة توَّاقة للحب ..تفتقد تلك الأحاسيس الرائعة التي طالما داعبت خيالها دون أن تعيشها.

ليتها تعرف أنها تتمنى لو تحررت من ثوب المرأة الحديدية التي اعتادت أن تظهر به أمام الجميع لتترك مشاعرها كأنثى تنطلق على سجيتها ..وأن تلتقي بذلك الشخص الذي تحبه وتمنحه قلبها وتعرف معه معنى السعادة التي عرفتها مثيلاتها ولم تجربها هي مطلقًا.

obeikandl.com

الفصل السابع

وألقت بنفسها فوق المقعد الهزاز لتسند رأسها إلى ظهره وهي تهتز به في حركة لا واعية وتهتز معها أفكارها ومشاعرها التي بدت وكأنها تتأهب للتمرد ..قائلة لنفسها:

- لكن من أين يأتيها ذلك الحب الذي تشتاقه وقد أوصدت أبوابها أمامه؟ وعاشت دائمًا حياة جادة وعملية لا مكان فيها للعاطفة.

حتى زواجها كان خاضعًا لحسابات ومقاييس عقلانية بعيدة تمامًا عن منطق المشاعر والأحاسيس العاطفية.

فقد عاشت وفق قواعد صارمة وضعها أبوها في البداية وألزمت نفسها بها بقية حياتها.

فالنجاح والتقدم والسعادة في حياتها كان مقترنًا دائمًا بالاعتماد على العقل والصلابة والإرادة القوية.

والفشل قرين الخضوع والاستسلام للعاطفة التي تنزع عن المرء رجاحة التفكير وقوة الإرادة.

هكذا نشأت ..وهكذا تعلمت ..وهكذا استمرت.

لقد آمنت وأخلصت دائمًا لتلك الأفكار التي زرعها أبوها داخلها.

حتى أصبحت تجد صعوبة بالغة في مجرد التفكير فيما يخالفها.

لكن ما قالته أختها منذ قليل أجبرها على معاودة التفكير في تلك الحياة التي عاشتها من قبل ..وتلك القواعد التي بقيت تحكمها طوال كل تلك السنين الماضية.

وجعلها تتساءل :هل عاشت حياة هنئة وناجحة حقًا؟ أم أنها حرمت نفسها من أجمل ما يمكن أن تحياه؟

وما إذا كان المنهج الذي آمنت به واتبعته صحيحًا ..أم أنه كان مشوبًا بقدرٍ كبيرٍ من الظلم والإجحاف بمشاعرها كامرأة؟

وتركت مقعدها لتنظر من النافذة إلى أمواج البحر المتلاطمة مع الرمال على الشاطئ ..كتلاطُم قلبها الحائر مع عقلها العنيد.

لم يكن ما قالته نيفين فقط هو الذي جعل مشاعرها تتضارب على هذا النحو ..بل ما قاله لها خالد أيضًا.

فقد أربكت كلماته أحاسيسها وجعلتها تجري هذه المواجهة مع نفسها.

وربما هذا هو السبب الحقيقي الذي تخشى البوح به لذاتها.

أجل ..لابد وأن تعترف أنها منجذبة إليه وأنها تستشعر بأن هناك شيئًا ما يأخذها نحوه ..شيئًا تجد صعوبة في مقاومته وإحساسها بالخجل منه.

فهي تستشعر بالذنب لأنها سمحت لنفسها بأن تنجذب لخطيب أختها وتركت كلماته تحدث فيها هذا الأثر.

حقًّا إنها لم تُظهِر له أي تجاوب ينم عمَّا بداخلها ومازالت تشعر بأنها قادرة على التغلب على هذه الأحاسيس.

لكن اللحظات القصيرة التي جمعت بينهما اليوم واهتمامه الزائد بها وكلماته إليها كانت كافية لتفجِّر بداخلها مشاعر لم تعرفها من قبل وربما كان إحساسها بالذنب هو الذي دفعها لأن تقسو على أختها على هذا النحو ..وجعلها تلح عليها للاستمرار في ارتباطها بخالد.

فقد بدت كما لو كانت تريد أن تحتمي بشقيقتها من تسلُّط تلك المشاعر المبهمة عليها.

فبقدر ما كشف لها خالد عن تلك الأنثى المختفية بداخلها والتي حاولت أن تتجاهلها طويلًا ..بقدر ما جعلها تخشى تلك الأنثى التي تحاول التمرد عليها.

ثم ..ثم كيف سمحت لنفسها بأن تشعر بشيء من العاطفة تجاه الشخص المفترض أن يكون زوجًا لشقيقتها؟

وما لبثت أن تنبّهت ..قائلة لنفسها:

- لكن ..لكن هذا الزواج قد لا يتم ..خاصة بعد إصرار نيفين على رفضه ..أي أنه من الممكن أن....

وسرعان ما هزت رأسها وكأنها تحاول أن تنفض عنها تلك الفكرة التي تحاول التسلل إليها مرددة:

- كلا ..مستحيل ..حتى لو كان محكومًا على تلك الزيجة بالفشل فهي لا تستطيع تقبل مجرد التفكير في أنه من الممكن أن تحل محل أختها.

تملكها إحساس بالقلق والتوتر وهي تتساءل في حيرة :هل يمكن أن يمكن أن تكون السبب في تحوُّل مشاعر خالد نحو شقيقتها؟

وعادت لتهز رأسها بالرفض قائلة:

- كلا ..لا يمكن أن تكون هي السبب وراء ذلك ..وعليها ألا تغالي في تقديرها لنفسها.

فربما كانت على قدرٍ من الجمال كما يقال لها ..لكنها بالتأكيد ليست أجمل من نيفين ولا تملك شيئًا من حيويتها وشبابها.

وشاب وسيم مثله لابد وأن يكون محاطًا بالعديد من المعجبات الجميلات اللاتي يتفوقن عليها جاذبية وشبابًا.

لابد أن هناك سببًا آخر لتحوُّل مشاعره تجاه نيفين إذا كان ماتقوله صحيحًا ..وعليها أن تعرف هذا السبب.

*****

فوجئت نيفين برامز يعترض طريقها قائلًا:

- أريد أن أتحدث معكِ.

قالت له بجفاء:

- قلت لك من قبل إنه لم يعد هناك ما يقال بيننا.
- لابد أن نتحدث.
- من فضلك توقف عن ملاحقتي واعتراض طريقي.
- أرجوك يا نيفين لابد أن تسمعيني ..أعترف أنني أخطأت لكن .. لكنك أنت التي دفعتني لذلك بعنادك و....

قاطعته قائلة بحزم:

- مازلت تبحث عن أعذار للخيانة ..وأنا لم أعد أريد منك اعتذارًا أو تبريرًا ..لم يعد ذلك يهمني في شيء .لابد أن تفهم وتصدِّق أن ما بيننا قد انتهى إلى غير رجعة.

همَّت بمواصلة السير ..لكنه لاحقها قائلًا:

obeikandl.com

- كلَّا ..قولي ما تشائين ..لكن ما بيننا لا يمكن أن ينتهي ..فأنا مازلت أحبك.

قالت له ساخرة:

- ما أرخص هذه الكلمة حينما تنطقها.
- لابد أن تصدقي أن ما حدث كان مجرد نزوة .لحظة ضعف..
- وماذا لو فعلت ما فعلته ..وقلت لك إنها كانت مجرد نزوة أو لحظة ضعف؟ هل كنت ستقبل ذلك تبريرًا؟ هل كنت ستغفر لي نزوتي أو لحظة ضعفي كما تسميها؟

صمت للحظة قبل أن يقول:

- ليتك تمنحينني فرصة أخرى ..أعترف أنني أخطأت ..لكن هذا لا يعني أن نتخلى عن الحب الكبير الذي جمع بيننا بمثل هذه السهولة.
- الحب الذي تتحدث عنه أضعته أنت وأنا الآن مخطوبة لشخصٍ آخر وسوف أتزوج منه عمَّا قريب.
- هذا غير صحيح.
- بل صحيح ..وإذا لم ترد أن تصدِّق فهذه مشكلتك.

obeikandl.com

نظر إلى أصابعها قائلًا:

- لا أرى في أصابعك دبلة خطوبة.

- ستراها خلال اليومين القادمين.

- لكنك ترتكبين خطأً كبيرًا في حقنا ..أنتِ تعرفين أنني أحبك كما تحبينني ..وعلينا ألا ندع العناد والغضب يفسدان حبنا ويدفعان بنا إلى طريقٍ مسدودٍ.

قالت له متهكمة:

- أتظن أنني سأرضى بالزواج من شخص ما لمجرد الرغبة في الانتقام منك ..لابد أنك أحمق لتصدق ذلك.

أنا مقتنعة تمامًا بالشخص الذي سأتزوجه ..ولولا ذلك لما وافقت على الاقتران به.

فهو شاب ثري ووسيم وتتمناه أي فتاة وتتشرف به أي عائلة.

قال لها بأسى:

مادام هذا هو اختيارك فأنا أتمنى لك السعادة.

- همَّت بأن تقول شيئًا ..لكنها تراجعت وواصلت سيرها وقد تركته جامدًا في مكانه وملامح الحزن تظلل وجهه.

obeikandl.com

وما إن ابتعدت بالقدر الكافي حتى تخلت عن صلابتها المصطنعة وأطلقت العنان لعبراتها تنساب فوق وجنتيها.

*****

جلس خالد تحت المظلة الشمسية المواجهة لفيلته والتي تطل على البحر مباشرة.

بدا مسترخيًا وهو مغمض العينين وقد مدد ساقيه أمامه مستسلمًا لأفكاره المضطربة.

فهناك ترتيبات تم اتخاذها لزواجه من نيفين ..الفتاة المفترض أن يعلن خطبته عليها خلال اليومين القادمين.

لكنه يجد نفسه منشغلًا بالتفكير في شقيقتها ..وغير قادرٍ على مقاومة انجذابه إليها.

إنه لا ينكر أنه أُعجَب بنيفين في البداية ..لكن هناك أشياء كثيرة تشده إلى سمر وتحول بينه وبين أي مشاعر أخرى تجاه شقيقتها أو سواها.

لم يدرك ذلك في البداية ..بل ولم يستطع أن يتصوره ويتفهمه لكنه يدركه الآن ويحسه أكثر من أي وقت مضى.

وقبل أن يستغرق في أفكاره المتتالية سمع صوتها يتسلل إلى أذنه في نعومة لم يعهدها من قبل ..قائلة:

- صباح الخير.

وما لبث أن رآها ماثلة أمامه.

فاعتدل في جلسته قائلًا:

- سمر ..صباح الخير.

ضمت ذراعيها إلى صدرها وهي تنظر إليه قائلة:

- وجدتك لم تحضر لزيارتنا بالأمس ..فجئت للاطمئنان عليك.

دعاها للجلوس قائلًا:

- أشكرك على هذا الاهتمام ..تفضلي.

جلست على المقعد المجاور وهي تلملم خصلات شعرها التي تطايرت مع نسمات الهواء ..قائلة:

- مادمت بخير ..فلم لم تأت لزيارتنا؟

قدم لها زجاجة مياه غازية بجواره ..قائلًا:

- تفضلي.

obeikandl.com

- أشكرك.

- في الحقيقة لم أرد أن أثقل عليكم أكثر من ذلك ..فمنذ مجيئي إلى هنا وأنتم تفرطون في دعوتي على الغداء والعشاء ومشاركتكم سهراتكم حتى صرت أشعر أنني ضيفٌ ثقيلٌ.

- كيف تقول ذلك؟ نحن الآن أسرة واحدة.

أطلق زفرة قصيرة من صدره وهو يتطلع إلى البحر وقد لاذ بالصمت.

وما لبثت أن قطعت هذا الصمت قائلة:

- هل حدث شيء بينك وبين نيفين؟ أقصد هل أنتما متخاصمان؟

- كلا ..لماذا تقولين ذلك؟

هزت كتفيها قائلة:

- لا أدري ..لاحظت أن العلاقة بينكما يشوبها شيء من الجفاء.

قال لها مترددًا:

- في الحقيقة ليس بيننا خصام ولا جفاء كما تظنين ..لكن...

- لكن ماذا؟

أطرق قائلًا:

obeikandl.com

- سمر ..أنا لن أستطيع الزواج من نيفين.

أصابتها حالة من الوجوم جعلتها تصمت برهة قبل أن تسأله قائلة:

- هل فعلت شيئًا أغضبك منها؟

- مطلقًا.

وعاودهما الصمت للحظات قبل أن يقول لها متحرجًا:

- أنا آسف ..أعرف أن هذا تصرف غير لائق منّي ..خاصة وبعد كل الترتيبات التي أعدت من أجل هذا الارتباط.

لكن الفترة القصيرة التي قضيتها مع نيفين في الآونة الأخيرة أكدت لي أنني لست الشخص المناسب لها.

بقيت سمر صامتة وهي لا تدري ما الذي تقوله له؟ وأي مشاعر تعتريها في تلك اللحظة.

فهي لا تعرف ما إذا كان ما قاله الآن قد أغضبها أم أن هذا هو ماكانت تأمل أن تسمعه منه؟

وهل هي آسفة حقًّا لأن كلا الطرفين لا يرغبان في إتمام هذا الزواج .. أم أن هذا التراجع المتبادل يحررها من أحاسيسها بالذنب تجاه عاطفتها المضطربة تجاه خالد والذي كان مسيطرًا عليها طوال اليومين الماضيين؟

عاد ليكرر اعتذاره قائلًا:

- آسف يا سمر، وأرجو أن تسامحيني ..لكن لا أريد أن أخدع نيفين وأخدع مشاعري.

نظرت إليه وقد عكست ملامحها تناقض مشاعرها في تلك اللحظة وهي تقول له:

- كنت أظن أن الحب والمشاعر ليسا من بين متطلباتك في الزوجة التي تريدها.

غمغم قائلًا:

- وهذا ما كنت أظنه في نفسي أيضًا قبل أن أقترب منك و أتعرَّف عليك أكثر.

ارتبكت قائلة:

- ماذا تقصد؟

بدت نظرته لها هذه المرة صريحة وواضحة وهو يقول:

- أنتِ واثقة أنك المرأة التي أريدها أن تكون زوجة لي.. ثقتي في حبي لك.

obeikandl.com

انتفضت واقفة وقد بدت كما لو كانت قد أصابتها صاعقة وهي تقول:

- أستاذ خالد ..ما هذا الذي تقوله؟

نهض بدوره قائلًا وقد أطلق العنان لأحاسيسه:

- ما سمعتِه ..صدقيني لقد حاولت أن أقاوم أحاسيسي تجاهك طوال الفترة الماضية لكني لم أستطع.

فكل يوم ..وكل لحظة اقتربت فيها منك وتحدثت إليكِ كانت تزيدني إعجابًا وتعلُّقًا بك.

وبقدر ما كان حبك يتسلل إلى قلبي دون إرادة منّي بقدر ما كانت المسافة تتباعد بيني وبين نيفين.

أراد أن يلمس يدها لكنها أبعدتها سريعًا وهي تشعر برجفة شديدة تسري في أوصالها.

وقد استطرد قائلًا:

- سمر ..أنا واثق تمامًا من عاطفتي نحوك ..ليتك أنت أيضًا تمنحيننا...

قاطعته قائلة:

- أرجوك لا تقل شيئًا.

وهرولت مسرعة بعيدة عنه وهي تكاد تتعثر في خطواتها أحسَّت كما لو أن إعصارًا اجتاحها ويكاد أن ينتزع قلبها من مكانها.

لقد تحققت مخاوفها ..ما الذي يمكن أن تفعله أو تقوله الآن لشقيقتها لو علمت بما قاله خالد؟

وكيف ستواجه أسرتها لو اكتشفوا أن خالد يحبها وأنه يريد أن ينهي ارتباطه بنيفين لأنه منجذب إليها هي؟

كيف ستواجه نظراتهم إليها باعتبارها الأخت الكبرى التي استولت على الرجل الذي اختارته في البداية ليكون زوجًا لشقيقتها؟

لن يصدق أحدٌ أنها لم تسعَ لذلك ولم تفكر فيه مطلقًا قبل مجيء خالد إلى هنا.

ولم تشعر بارتطام الأمواج بساقيها وهي مستغرقة في أفكارها المضطربة ..وقد حاولت أن تبرر لنفسها قائلة:

- لكن نيفين لم تحب خالد ..هي التي قالت لها ذلك ..وهي التي أخبرتها بأنها لا تريد الزواج منه.

وهي واثقة أنها لم تكن متحمسة لتلك الزيجة من البداية ..كما أنها لم تتحدث مطلقًا عن أي مشاعر عاطفية قوية تكنها له لكن هل

يبرر ذلك لها أن تكون بديلة لأختها في علاقتها مع الشخص الذي كانت تنوي الارتباط به؟

إن أحاسيسها المضطربة ومشاعرها المضطربة تدل على أنها تشعر بعاطفة خفية تجاه هذا الشاب، وأن الأيام القليلة الماضية قد حدث خلالها تحوُّل كبيرٌ في عقلها وقلبها ..وعليها أن تعترف بأنها هي أيضًا تحبه رغم كل محاولاتها لإنكار ذلك.

حتى وهي تحاول أن تدفع أختها للاقتران به كان تشعر بشيء ما تجاهه.

شيء حاولت أن تتجاهله وتنكره لكنها لم تستطع التخلص منه حتى جاء هو ليواجهه به ويوقظه بداخلها.

واستعادت كلماته وذلك البريق الذي رأته في عينيه ولمس يده وهو يعترف بحبه لها.

أحسَّت بفيضٍ من السعادة اجتاح قلبها وهي تستعيد كل ذلك.

سعادة لم تعهدها من قبل ..وإحساس تفتح معه مشاعرها وأنوثتها.

فهي تخشى ذلك الزائر الغامض الذي يدق على أبواب قلبها دون أن تكون مستعدة ومهيأة لاستقباله.

ماذا ستفعل إزاء نيفين لو تجاوبت مع مشاعرها ومشاعر خالد نحوها؟

فحتى لو لم تكن شقيقتها تحب خالد وغير موافقة على الارتباط به .. هل ستتقبل فكرة أن تأخذ مكانها في قلبه وحياته؟

ألن يترك ذلك أثرًا نفسيًا سيئًا في نفسها تجاهها؟

إنها لا تستطيع أن تكون سببًا في إيذاء مشاعرها على أي نحو.

وتوقفت لتحدق في الأفق قائلة لنفسها بسخرية مريرة:

- يالغرابة القدر ..فها هي حينما عرفت الحب أخيرًا ..عرفته مقيَّدًا ومليئًا بالعقبات والصعوبات ..إلى حدّ أن تراه حُبًّا مُحرَّما.

وتنبهت فجأة حين رأت ذلك الشاب يعترض طريقها قائلًا:

- مدام سمر ..أنا آسف لتطفُّلي عليكِ ..لكني أريد التحدث إليك في أمر ضروري.

نظرت إليه باستغراب قائلة:

- هل أعرفك؟

- اسمي رامز حسين ..أنتِ لا تعرفينني ..أما أنا فأعرفك جيدًا.

- حسنًا ..ماذا تريد؟
- أريد أن أتكلم معك في أمرٍ يتعلق بي وبنيفين.
- نيفين أختي؟
- أجل.

*****

جلست نيفين في الشرفة تتطلع إلى البحر حتى إنها لم تشعر بسمر وهي تقترب منها قائلة:

- لماذا لم تخرجي مع أصدقائك اليوم؟

قالت دون أن تلتفت إليها:

- لا أشعر بالرغبة في الخروج مع أحد الليلة.

جلست بجوارها قائلة:

- لقد قابلْت خالد اليوم.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن

سألتها نيفين:

- هل حسمت الأمر معه؟
- أفضل أن تتريثي قليلًا.
- لم يعد هناك مجال للتراجع ..من الأفضل أن ينتهي كل شيء الآن.
- ولما لا تصارحينه أنت بذلك؟
- أفضل أن تنهي أنت هذا الأمر كما بدأته.
- ماذا لو أصر على التمسك بك؟

قالت لها متهكمة:

- لا أظن ..أنا واثقة أن لديه نفس الرغبة في إنهاء هذا الارتباط.

من الأفضل أن نسارع نحن بإنهاء الأمر قبل أن يأتي الرفض من جانبه وتضعينني في موقف حرج.

obeikandi.com

- هل هذا هو كل ما يعنيك؟ ..أن تكوني أنت السابقة بإنهاء ارتباطكما.

- قلت لك من قبل إنني لا أشعر بعاطفة حقيقية وقوية تجاه الموضوع منذ البداية كان خطأ ساهمنا جميعًا في ارتكابه صدقيني أنني لا أريد أن أظلمه أو أظلم نفسي بتلك الزيجة القائمة على المنفعة.

- وماذا عن رامز؟

بوغتت بسؤالها ..فتحولت إليها وقد بدا أثر المفاجأة واضحًا على قسمات وجهها.

وما لبثت أن قالت بصوت مضطرب:

- ما الذي تعرفينه عن رامز؟

قالت لها بهدوءٍ:

- لماذا لَم تحدثيني عن علاقتك به منذ البداية؟

- من فضلك قولي لي كيف عرفت بأمر رامز؟

- ليس هذا هو المهم ..أجيبي عن سؤالي ..لماذا أخفيت عنّي علاقتك بهذا الشاب رغم أننا اعتدنا ألا نخفي أسرارنا عن بعضنا البعض؟

obeikandl.com

غادرت مقعدها لتستند إلى سور الشرفة قائلة:

- ظننت أن هذا لا يعنيكِ في شيء.

نهضت سمر بدورها لتقترب منها وهي تلف ذراعها حول رأس شقيقتها لتريحها على كتفها قائلة:

- هل هذا هو ظنك بي؟ كيف تشكين في حبي لك واهتمامي بك وبكل أحوالك؟

- لو كنت أعلم منذ البداية أنك مغرمة بهذا الشاب ما كنت قد ألححت عليك في الزواج من خالد.

وإذا كنت قد سعيت لإتمام هذا الارتباط بينكما فذلك لأنني بغض النظر عن أنني وجدت فيه مصلحة لنا كلنا ..لكني ظننت أيضًا أنك كنت مرحِّبة بهذا الزواج.

ولم أتصور مطلقًا أنك كنت تعاندين قلبك وأن تلك الزيجة لم تكن تعني لك سوى محاولة لرد الاعتبار ومحاولة منك للتغلب على جرح أصاب قلبك.

أجهشت نيفين بالبكاء ..قائلة:

- هذا هو قدري ..الشخص الذي أحببته خانني ..والشخص الذي رضيت به زوجًا رفضني.

ظننت أنني أستطيع الهرب من تعاستي باللهو والمرح وارتياد المراقص ..لكن شيئًا من ذلك لم يساعدني على مداواة جرحي ..ولم يحل بيني وبين التساؤل عن سبب سوء الحظ الذي يلازمني وإحساسي بالضياع.

مسحت سمر بيدها على شعر أختها بإشفاق قائلة:

- لا أصدِّق أن نيفين هي التي تقول ذلك.
- لا تغتري بالمظهر الخارجي ..فأنا أضعف مما تظنين.
- مازلت تحبين هذا الشاب ..أليس كذلك؟

أبعدت رأسها عن كتف سمر وهي تمسح عبراتها قائلة:

- رامز لم يعد له وجود في حياتي.
- لا داعي للمكابرة ..أنا واثقة أنك مازلت تحبينه.

مشكلتك الحقيقية هي أنك مع كل ما تحملينه له من حب غير قادرة على مسامحته على خيانته لك.

فبداخلك صراع بين حبك له وكراهيتك لما فعله.

هذا الصراع هو الذي جعلك تشعرين بذلك التناقض مع نفسك على هذا النحو ..وهو أيضًا الذي يدفعك أحيانًا إلى محاولة الهرب

obeikandl.com

عن طريق مصادقة أشخاص لا تتفق طبيعتك مع طبيعتهم وأسلوب حياتك والتمرد على التقاليد التي عرفناها وتربينا عليها.

وهو أيضًا ما دفعك إلى الموافقة على الزواج من شخصٍ لا تحبينه وكل ذلك لم يؤد بك إلى إلى المزيد من التعاسة والشقاء.

حدجتها نيفين بنظراتها ..وكأنها تراها لأول مرة.

فهذه هي المرة الأولى التي تبدي سمر فيها اهتماما بها على هذا النحو وتتحدث إليها بهذا الفهم وبلغة غير تلك التي اعتادت أن تحادثها بها.

سألتها سمر قائلة:

- لماذا تحدقين بي هكذا؟
- لأنها المرة الأولى التي تفتحين لي فيها قلبك وتتحدثين معي على هذا النحو.

تنهدت سمر قائلة:

- ما قلتِه لي في المرة السابقة ونحن جالستان في السيارة نبهني إلى حقيقة كانت غائبة عنّي ..وهي أن واجبي نحوكم ومسئوليتي تجاه أسرتي التي أحبها يجب ألا تقتصر على الجانب المادي فقط.

وأن اهتمامي الشديد بتأمين وضعنا الاجتماعي واحتياجاتنا المادية لا يكفي وحده، وإنما يجب أن يكون بيننا مشاركة وجدانية أيضًا.

وأنه لابد وأن نعِّبر عن مشاعرنا بكل أشكالها تجاه من نحبهم دون خوف أو تردد.

احتضنتها نيفين بقوة قائلة:

- هذا ما كنت أحتاج أن أسمعه منك منذ فترة طويلة.

قالت سمر وهي تحاول التغلب على تأثرها:

- الآن دعينا من هذا الحديث ولنعد إلى مشكلتك الحقيقية ..أنت مازلت تحبين رامز أليس كذلك؟

أطرقت نيفين صامتة.

بينما تأملتها سمر قائلة:

- صمتك هذا يدل على ذلك.

تنهدت نيفين بعمق قائلة:

- حتى لو كنت مازلت أحبه ..فهذا لن يغير من الأمر شيئًا.
- لكن هو أيضًا يحبك ومتمسك بك ويريد أن تسامحيه وتعودي إليه ..يريد أن يتزوجك يا نيفين.

obeikandl.com

- الحب والخيانة لا يتفقان.
- إذن لماذا خلق الله التسامح والغفران؟
- الله وحده هو القادر على الغفران والصفح.
- وطلب من البشر أن يكونوا خلائفه في الأرض يقتبسون بعضًا من جلال صفاته

فهو العاطي ويطالبنا بالعطاء ..وهو الكريم ويطالبنا أن نكون كرماء ..وهو أيضًا الغفور ويريدنا أن نعفو ونغفر.

- في حدود طاقتنا البشرية ..لا أظن أنك تستطيعين أن تعفو وتصفحي لو مررت بمثل تجربتي مع رامز.
- ربما ..لكن ما دامت تعرفين أننا بشر ..فأنت تعرفين أيضًا أن البشر معرضون للخطأ والنزوات ولا يمكننا أن نطلب منهم أن يكونوا ملائكة منزهين.

ما استطعت أن أستشفه من حديثي مع رامز اليوم هو أنه ليس بالشخص السيء إلى الحد الذي تظنينه ..وأن الخيانة ليست جزءًا من طبيعته.

ربما أكون مخطئة في اعتقادي هذا ..فأنت تعرفينه أكثر منّي بالطبع.

لكن إذا كان اعتقادي هذا صحيحًا ..فهذا يعني أن ما حدث كان مجرد نزوة يمكن أن يتعرض لها أي شخص وليس طبعًا متأصِّلًا فيه.

نزوة ندم عليها واعترف بها ويريد أن تسامحيه على ارتكابها وتمنحيه فرصة أخرى للتكفير عنها ولإثبات حبه لك.

قالت لها متهكمة:

- يبدو أنه نجح في التأثير عليك كما فعل بي من قبل ..هل تصدقين ذلك حقًّا؟

- أنت تعرفين شقيقتك جيدًا ..ربما ليس لي تجارب عاطفية وخبرة في هذا الشأن ..لكن لدي بلا شك خبرة كبيرة في فهم الأشخاص بحكم عملي ومسئولياتي وتعاملاتي مع نوعيات مختلفة من البشر، وهذا يجعلني أحكم عليهم حكمًا جيدًا ..وغالبًا ما يكون حكمي هذا صائبًا ..مما يجعلني على ثقة بأن رامز نادم على فعلته ولن يكررها ..كما أنه يحبك حبًّا كبيرًا.

وأنا واثقة أيضًا من حبك له بالقدر الذي يجعلك تغفرين له ذنبه .. وأنه سيحافظ على حبه وإخلاصه لك هذه المرة.

قالت لها مترددة:

- لكني مصرة على أنني...

قاطعتها قائلة:

- لا تصري على عناد قلبك ..خذي وقتًا كافيًا للتفكير فيما قلته قبل أن تتخذي قرارك ولا تجعلي العناد والكبرياء يحرمانك من الحب والسعادة التي تبغينها.

رامز سينتظرك غدًا بالقرب من الشاطئ وفي نفس المكان الذي اعتاد أن يقابلك فيه.

استمعي إليه ..وحاولي أن تفتحي له قلبك وعقلك من جديد.

وإذا وجدت نفسك مستعدة للصفح عنه والعودة إليه قولي له إنني وبقية أفراد الأسرة سنكون مستعدين لمقابلته هو وأسرته لطلب يدك في الوقت الذي يناسبه.

*****

تمنت سمر أن تكون قد ساهمت بما قالته لأختها ليس في تحقيق المصالحة بينها وبين الشخص الذي أحبته فقط بل بينها وبين نفسها أيضًا..

وأحسَّت بالارتياح بعد أن تأكدت أن الحب الذي جمع بين شقيقتها وهذا الشاب حُبًا حقيقيًا وقويًا.

فلن يؤرّقها ضميرها بعد الآن بشأن تلك المشاعر التي تحسها تجاه خالد ومشاعره تجاهها.

فهي تستطيع الآن أن تتحرر أيضًا من قيودٍ عديدة فرضتها على نفسها ومن أحاسيس سجنتها بداخلها وحرمتها من السعادة.

بإمكانها أن تفتح أبواب قلبها على مصرعيه أمام رياح الحب التي تتسلل إليها.

أجل بإمكانها أن تفعل ذلك دون تردد وبلا خوف أو خجل وفكرت في وائل ..هل سيتقبل وجود شخص آخر في حياة أمه أم سيعترض على ذلك؟

وقالت لنفسها:

- لا أظن أنه سيعارض فهو يحب خالد ..وخالد أيضًا يحبه وبينهما انسجام متبادل، وغلبها فيض مشاعرها ففكرت أن تذهب إليه لتصارحه بحقيقة أحاسيسها تجاهه وقد تملكتها رغبة عارمة لرؤياه.

لكن في اللحظة التي تأهبت فيها لمغادرة الشاليه كان صلاح قادمًا وقد بدا وجهه متجهّمًا وهو ينظر إليها قائلًا:

- هل أنتِ ذاهبة؟

- أجل.
- إلى أين؟
- سأسير على الشاطئ قليلًا.
- وأين وائل؟
- يلعب مع أصحابه في الشاليه المجاور.

تفحصته بعينيها وهي تستطرد قائلة:

- صلاح ..ماذا بك؟ هل هناك شيء يضايقك؟

أطلق زفرة قصيرة من صدره قائلًا:

- أريد أن أتحدث معك قليلًا.

ابتسمت قائلة:

- لابد أنه نفس الموضوع الذي حدثتني بشأنه منذ يومين رغبتك في الزواج من نهى ..أليس كذلك؟
- في الحقيقة أنا لن أتراجع عن هذا الأمر ..أريدك أن تعرفي أنني...

قاطعته قائلة:

- أنا التي تريد أن تقول لك إن الفتاة التي تحبها جميلة بالفعل.

obeikandl.com

وقد رأيتها عن قُرب وأعتقد أنها ستكون زوجة رائعة.

نظر إليها بدهشة قائلًا:

- منذ يومين فقط لم يكن هذا موقفك ..وكنت تعارضين ارتباطي بها بشدة ..فما الذي طرأ ليجعلك تغيرين موقفك هكذا؟

ابتسمت له قائلة:

- أشياء كثيرة يمكن أن تتغير خلال يومين ..بل ربما خلال ساعتين فقط.

- ولكن نهى مازالت هي تلك الفتاة البسيطة التي تعمل موظفة في الفندق وتكافح من أجل الإنفاق على نفسها وأسرتها ولم يطرأ عليها أي تغيير.

اقتربت لتضع يدها على كتفه قائلة:

- ربما أكون أنا التي تغيرت ..اسمع يا صلاح لقد قابلت نهى اليوم في الفندق وتحدثت معها.

وصدقني لقد أعجبتني شخصيتها واطمأننت إلى أنها الفتاة المناسبة التي تصلح لأن تكون زوجة لك.

وقد أخبرت والدتنا بذلك وجعلتها توافق على اقترانك بها.

تهلل وجهه قائلًا:

- إنني غير مصدق لما سمعت.

قالت له مازحة وهي تربت على كتفه:

- هيَّا ..أسرع قبل أن تغيّر رأيها ..اذهب إليها واتفق معها على ميعاد الزواج.

- أشكرك يا سمر ..أشكرك من كل قلبي.

- لا تعطلني أكثر من ذلك ..فلدي موعد يتعين علي الذهاب إليه.

وهمَّت بالذهاب ..لكنه استوقفها قائلًا:

- انتظري يا سمر ..أريد أن أقول لك شيئًا.

التفتت إليه قائلة:

- ماذا؟

- بالنسبة لخالد ..لقد عرفت اليوم أن وضعه المالي قد أصبح سيئًا للغاية ..وأنه معرَّض لفقد مؤسسته.

قطبت جبينها قائلة:

- ماذا تقول؟

obeikandl.com

- هذه هي الحقيقة التي عرفتها عن طريق أحد عملائنا ..لقد ضارب بأموال المؤسسة في البورصة ..لكن أسهمه خسرت خسارة فادحة .وقد عرفت أنه أتى إلى هنا منذ فترة قصيرة ليقابل أحد كبار رجال الأعمال منصور العشري لابد أنك تعرفينه أملًا في الحصول على مساعدته لإنقاذ المؤسسة من الإفلاس لكنه أراد مساومته على بيع أصول المؤسسة له ليضمها إلى مجموعة شركاته.

غمغمت قائلة:

- لكن أحدًا لم يشر إلى تدهور الوضع المالي والاقتصادي للمؤسسة على هذا النحو ..فكل المؤشرات كانت تدل على أن...

قاطعها قائلًا:

- كلها كانت مؤشرات خادعة ..تمامًا كما فعلنا نحن للتغطية على الخسائر التي لحقت بشركتنا حتى لا ينكشف وضعنا المالي في السوق ..فقد أراد أن يحمي اسمه واسم المؤسسة.

الأسوأ من ذلك أنه أراد أن يمارس معنا نفس اللعبة التي أردنا أن نستخدمها معه لإصلاح أمور شركتنا.

فالصورة الوهمية التي صوَّرنا بها أوضاعنا المالية ومحاولتنا إخفاء خسائر الشركة وديونها أعطت انطباعًا زائفًا بأن نجمنا يتصاعد في السوق.

مما جعله يظن أن زواجه من نيفين سيعزز وضعه المالي ويمكنه من الاستفادة من بعض العقود والحصول على قرضٍ مالي يمكنه من تجاوز أزمته المالية.

قالت له بانزعاج:

- كلا ..لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا ..لقد أخبرته بحقيقة وضعنا المالي وأننا...
- كان يظن أن هذا ادعاء منا ومحاولة لأن يستفيد كل طرف أقصى استفادة من الطرف الآخر لتعزيز وضعه اقتصاديًّا.

الوضع المالي لمؤسسة خالد في أسوأ حالاته.

تهالكت سمر فوق أحد المقاعد وهي ما زالت غير مصدقة.

بينما استطرد صلاح قائلًا:

- على أي حال ليس باستطاعتنا أن نلومه إذا كان قد سعى لتحقيق مصلحة من وراء زواجه من نيفين ..فهذا ما أردنا أن نفعله أيضًا.

ظلت صامته وقد رسمت ملامحها مزيج من الحزن والغضب المكبوت.

بينما استطرد صلاح قائلا:

- آسف يا سمر ..لكن كان يتعين علي أن أطلعك على الحقيقة.

وانصرف تاركًا إياها صامتة وقد احتوتها دوامة من المشاعر المتضاربة.

إن ما سمعته الآن يمكن أن يبدل أشياء كثيرة ويهدم أشياء أخرى.

فهو يعني أنها لن تتمكن من إنقاذ شركتها من الضياع ..والأشد قسوة أنها كانت هي نفسها جزءٌ من الخطة التي وضعها خالد لتجاوز أزمته.

ربما كانت الخسارة المادية هي الأهم بالنسبة لها من أي شيء لو علمت بهذا الخبر من قبل ..لكن الآن وبعد أن أحبت خالد فإن الخسارة المادية لا تعنيها بقدر صدمتها في الشخص الذي تفتح له قلبها..

إذن ..فقد كان يخدعها ويتظاهر أمامها بعاطفة زائفة ظنًّا منه أن اقترانه بها سيعود عليه بفائدة أكبر وأكثر من زواجه من شقيقتها بعد أن تبين له أنها وحدها المتحكمة في إدارة أمور الشركة وصاحبة اليد العليا فيها. فأراد أن يدير الدفة نحوها.

لقد كادت أن تصدق أنها عرفت معنى الحب الحقيقي معه وهيأت نفسها لمشاعر رائعة طرقت أبوابها لأول مرة في حياتها.

لم تظن للحظة واحدة أن تلك المشاعر وهمية ومصطنعة وأن ما ظنته حُبًّا لم يكن سوى زيفٍ وخداعٍ.

وانهمرت العبرات من عينيها وهي تعجز عن مقاومتها والسيطرة عليها..

فلم يكد قلبها يبدأ في خفقاته الأولى لذلك الحب الذي أوهمها به خالد حتى وأدت تلك الخفقات في مهدها..

يا له من قدرٍ عنيدٍ ..قاسٍ، ذلك الذي يأبى أن تنعم بمشاعر تمنتها ويصر على أن يحطمها ويحرمها منها.

سارت فوق الرمال دون أن تأبه لكل مظاهر الجمال الرباني المحيط بها وهي ما زالت تترنح تحت تأثير الصدمة.

كانت تتمنى لو تغلّبت على تلك المشاعر المريرة التي اجتاحتها وأن ما حدث لم يكن على هذه الدرجة من السوء خاصة بعد أن تكشفت لها الحقيقة مبكرًا ..لكنها لم تستطع.

أرادت أن تقنع نفسها بأنها تستطيع تجاوز ما حدث وأن تنسى تجربتها العاطفية القصيرة لتلقي بها وراء ظهرها بكل ما تحمله من حلاوة ومرارة.

فهي تجربة أيام قلائل وسحابة صيف يمكن تجاوزها.

كما أنها امرأة قوية اعتادت أن تواجه العديد من الأزمات الصعبة وتتغلب عليها.

لكنها وبالرغم من كل ما حاولت أن تقنع به نفسها ..لم تستطع أن تقاوم تلك العبرات التي ظلت تنساب من عينيها دون توقف فالأزمة التي تواجهها هذه المرة تختلف تمامًا عن كل ما واجهته سابقًا .. وقوتها تخونها على نحو لم تعهده في نفسها من قبل.

حتى إرادتها الصلبة التي طالما تباهت بها أصبحت بالنسبة لها محل شك بعد صدمتها في الرجل الوحيد الذي أحبته.

أجل ..إنها لم تعد نفس المرأة ولم يعد أي شيء عاهدته من قبل على نحو ما كان عليه.

وبقيت غارقة في أفكارها وأحزانها حينما سمعت صوته يناديها قائلا:

- سمر.

التفتت لتراه قادمًا نحوها قائلًا:

- لقد ناديتك كثيرًا لكنك لم تردي عليَّ.

وتأملها مردفًا:

- ما هذا؟ ..هل كنت تبكين؟

قالت وهي تمسح عبراتها:

- إنها حبَّات رمل متطايرة دخلت في عيني.

واستطردت قائلة بجفاء:

- ماذا تريد؟
- ما أردت أن أعرفه من قبل ..الحقيقة.
- أي حقيقة؟
- حقيقة مشاعرك نحوي.
- أعتقد أنه يتعين علينا ألا نتحدث في هذا الأمر مرة أخرى.

وأدارت له ظهرها لتواصل طريقها.

لكنه أمسك بذراعها ليستوقفها قائلًا:

- لا تتركيني هكذا.

نزعت ذراعها من يده قائلة:

- أستاذ خالد ..من فضلك ..لم يعد بيننا ما يُقَال.

obeikandl.com

- بل لا بد وأن أعرف منك بوضوح سبب رفضك لي ..وما إذا كنت ترفضين عاطفتي نحوك اعتراضًا على شخصي أم حرصًا على مشاعر أختك؟

قالت له بنبرة تهكمية:

- قل لي ..ما ظنك أنت؟

- أظن أنك ستكونين مخطئة تمامًا لو اعتقدت أن أي ارتباط بيننا سيسيء إلى مشاعر نيفين.

فانا أعرف أنها لا تحبني كما هو الحال بالنسبة لي.

كانت هذه هي مشاعري منذ البداية وتأكدت من مشاعرها أيضا بعد أن صارحتني اليوم بأنها تحب شخص آخر ..وقد أعفتني بذلك من الحرج الذي كنت أتحسب له لو صارحتها بعدم رغبتي في الاستمرار في ذلك الارتباط.

قالت دون أن تتخلى عن جفائها:

- الأمر ليس له علاقة بنيفين.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنني لا أحمل تجاهك أي مشاعر عاطفية.

باغتته إجابتها في البداية فبقي صامتا لبرهة وهو يحدق فيها ..ثم ما لبث أن قال:

- إحساسي يقول غير ذلك وأنك تعاندين قلبك؟
- إحساسك خاطئ يا أستاذ خالد ..ويصور لك أشياء وهمية.
- إذا كنت تخشين على وائل فلابد أن تعرفي أنني أحبه كثيرا وسأكون بمثابة الأب بالنسبة له.

قالت بغلظة:

- لا يمكن أن تكون في مكانة أبيه مطلقا ومن الأفضل ألا تقارن نفسك به.
- هل أبدو سيئا في نظرك إلى هذا الحد؟
- ربما لم أستطع أن أحب زوجي كما هو مفترض ..فالحب والكراهية أحاسيس لا نملكها بقدر ما تملكنا ..لكني كنت وسأظل أحترمه وأقدره دائما ..فقد كان رجلا أمينا ومخلصا وصاحب مبادئ لا يحيد عنها أبدًا ولم أراه مطلقا يستغل مشاعر الآخرين ويخدعهم لتحقيق أطماع شخصية.
- كلامك هذا ينطوي على تلميحات غير واضحة.

obeikandl.com

- بالعكس أظن أنك تفهم ما أقصده جيدا ..لقد انكشفت لعبتك وتبين أن كل ما كنت تهدف إليه هو إنقاذ مؤسستك من الإفلاس وإصلاح وضعك المادي بأي ثمن حتى لو اضطررت إلى الادعاء والتظاهر بعاطفة زائفة والتلاعب بمشاعر الآخرين.

- أتظنين حقا أنني هذا الرجل الذي تتحدثين عنه؟

قالت له منفعلا:

- كفاك تمثيلا وادعاء ..فالدور الذي حاولت أن تلعبه بداية مع شقيقتي ..ثم معي بعدها باعتباري صاحبة الشركة التي تطمع في استخدامها وسيلة لاستعادة مكانتك الاقتصادية دور ردئ ..ولم يعد ينطلي على أحد.

- أذن دعينا نتحدث بصراحة ودون مواربة ..أي شركة تلك التي تتحدثين عنها وتظنين أنني ألعب هذا الدور الدنيء معك ومع أختك من اجلها.

أنا رجل لي مكانتي في السوق وأعرف جيدا الوضع المالي لشركتك وأنها على وَشَك الإفلاس وتحتاج إلى دعم مالي كبير يمكنها من الاستمرار .. وأنني لم أكن سوى مجرد هدف لإصلاح ذلك الوضع المتدهور لشركتك من خلال تلك الزيجة المرتب لها.

حدقت في وجهه بدهشة وقد بوغتت بما قاله

وظلت صامتة للحظة قبل أن تعقب قائلة:

- إذن فقد كنت تعرف.

- كل شيء ..وان حدث ذلك منذ فترة قصيرة وقبل أن أصارحك بحبي لك بأيام قليلة.

- لقد أحببتك بالفعل يا سمر ..أنت الإنسانة الوحيدة التي تفتح قلبي لها ..حبي لك غير كثير من أفكاري ونظرتي للحياة.. فمنذ أن ازددت اقترابًا منك وتعرُّفًا عليك أدركت أنك الإنسانة الوحيدة التي أريدها لتكون زوجة لي وشريكة لحياتي.

خفق قلبها بشدة وهي تنظر إليه قائلة:

- زوجة لك.

- ليتك توافقين فهذا غاية ما أتمناه ..أعرف أنني أصبحت في وضعٍ مماثل لك بالنسبة للأحوال المالية المضطربة وأننا مقبلان على ظروف صعبة وقاسية، لكني أعرف أيضًا أن كلًّا منَّا له من الإرادة القوية والعزيمة الصلبة والإصرار ما سوف يمكننا من التغلب على كل تلك العقبات التي تعترض طريقنا ..وأن بمقدورنا استعادة كل ما فقدناه.

كل ما نحتاجه هو الحب ..الحب الذي لم يعرفه كلانا من قبل وكنا أحوج ما نكون إليه في أجمل سنوات عمرنا ..لكن الفرصة لم تضع

منا بعد وعلينا ألا نضيعها لأننا إذا أضعنا هذا الحب الآن فسوف نُحرَم منه إلى الأبد.

اقتربت منه لتمسك بيده وهي تنظر إليه بعاطفة جياشة قائلة:

- أجمل سنوات العمر هي التي ستضمنا معًا.

تهلل وجهه وهو يتطلع إلى وجهها قائلًا:

- أحبك يا سمر.

همست له قائلة:

- وأنا أيضًا أحبك يا خالد ..أعلنها لي قلبي صريحة مدوية ..أحبك ولم أحب أحدًا سواك، سامحني إذا كنت قد ارتبت في صدق مشاعرك نحوي وظننت أن...

قاطعها قائلًا:

- لا تقولي شيئًا ..ما قلته الآن يجعلني مستعدًا لمسامحة الدنيا كلها والتصالح معها.

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالعبرات بالرغم من اختلاطهما بابتسامة قائلة:

- ينتظرنا طريقٌ صعب وشاق ..فكلانا أصبحنا مفلسين.

obeikandl.com

ابتسم لها قائلًا:

- سنجتازه حتى نصل إلى بَرّ الأمان ..والدانا بدآ من الصفر وحققا النجاح الذي وصلا إليه بالجهد والكفاح والعرق ..ونحن نستطيع أن نكون مثلهما.

المهم أن لدينا ما كنا نفتقده من قبل ..لدينا الحب الذي لم نستطع الحصول عليه بكل ما لدينا من ثروة وإمكانيات ..وهو أغلى من أي شيءٍ آخر ضاع منا.

سنصعد السلم من جديد بحبنا وعزيمتنا لنصل إلى القمة مجددًا.

فقط مدّي لي يدك ودعينا نبدأ الرحلة معًا.

أسلمت له يدها لتتشابك أصابعهم ..وقد أحسَّت بالدفء والأمان يسري بأوصالها.

وبينما كانا يسيران فوق رمال الشاطئ تولَّد لديهما إحساسٌ مشترك بأنهما يجتازان أسوارًا عالية من الخوف واليأس الذي أحاط بقلبيهما ..وحال بينهما وبين السعادة والأمل في المستقبل الذي تفتح طريقه أمامهما.

تمت بحمد الله

obeikandl.com

الكاتب فى سطور

شريف شوقي، كاتب روائي حاصل على ماجيستير في القانون العام والجنائي من كلية الحقوق جامعة عين شمس.. قدَّم سلسلة بوليسيه باسم (المكتب 19) للمؤسسة العربية الحديثه تحتوي على أربعة وثمانين عددًا.

بالإضافة لسلسلة رومانسية باسم (زهور) صدر منها خمسة وثمانين عددًا .

بالإضافة لأربع سلاسل روائية لدارغريب للطباعة والنشر، تتراوح مابين البوليسي والرومانسي والخيالي، وسلسلتين بوليسيتين لدار ابن لقمان للنشر والتوزيع، وبعض الأعمال الفردية لدار ليلى، وإبداع،ودار الهلال، ودار سما الكويتية.

هذا بالإضافة لبعض السيناريوهات المصوَّرة (كوميكس) لمجلة علاء الدين(الأهرام) وقرناس السعودية وسدرة الكويتية.

obeikandi.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-02-35860372 011 -27772007

obeikandl.com